الدكتور: حسن ضياء الدين عتر



حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة

نقض مزاعم المستشرقين



مَبَاحِث الكِتَاب

الموضـوع	صفحة



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِنْ جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ * صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴾ (١)

(صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلعَظِيم)

---

(١) سورة الشورىٰ : ٥٢ ـ ٥٣ .



مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، الذي بعث محمدا رسوله الصادق الأمين ، وأيده بالنور المبين ، وأَشْهَدَ ذوي الألباب براهينَ اليقين على أنه خاتم المرسلين . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الغر الميامين وتابعيهم باحسان إلى يوم الدين .

إنّ إثبات الوحي هو اثبات لنبوة خاتم رسل الله ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، واشهار للبراهين على صحة دين الاسلام والهية مصدره ، وبالتالي على نبوة جميع الأنبياء الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه المجيد ، ومنهم موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام .

لا ريب أن للاستشراق آثارا بليغة في بعض أبناء المسلمين وتَسَبُّباً في انحرافهم ، كما لا تُنكرُ آثاره القوية في صد الغربيين عن الدخول في الاسلام . ولما كان كشف الشبهات عن الدين من فروض الكفايات فقد رأيت أن أنهض بعبء الرد على أهم وأحدث شبهات المستشرقين في الوحي الى سيد المرسلين فان الايمان بالوحي من أهم أسس العقيدة الاسلامية .

لقد تطورتْ كثيراً شبهاتُ الاستشراق وأساليبه منذ نشأته حتى عصرنا الحاضر ، فاعتمدتُ على كتب من أشهر الكتب المعتمدة لدى المستشرقين وأتباعهم وأوسعها انتشاراً . اذْ يجب أن ينصب

الرد على الشبهات والتخرصات الحديثة المتداولة في أيامنا هذه ليكون رداً قوياً هاماً ، مُجدياً في نشر الدعوة الاسلامية ، ومُزيحاً للعوائق من طريقها ، وليكون إغناء للثقافة الاسلامية في اسلوبها المعاصر .

وقد رأيت أن طريقة بعض الكاتبين في ايراد بعض الشبهات والتعقيب عليها باجابات جزئية ليس وراءه كبير جدوى ، فان الصياغة المشوهة الفاسدة التي يحيكها المستشرق متكاملة لا تُجدي في دفع آثارها ردود على جزئيات منها . بل إن أبلغ الرد عليها تقديم الصورة الصحيحة من مصادر وثيقة ببحث علمي مركز واضح ، ثم إتباعُ ذلك بمناقشة الشبهات ونقض التقولات ، وقد عمدت الى تطبيق هذا المنهج في دراسة موضوع الوحي الى رسول الله ﷺ .

ولكي يتم النقاش في اطار واضح قدمت ـ في الباب الأول ـ بحثا عن الاستشراق للتعرف على دوافعه وخطته واهدافه واختلال مناهجه في البحث العلمي عامة وقدمت فيه استخلاصاً منهجياً جديداً ، لم أقف عليه في كتاب سابق .

ولما كان المبشرون ومعظم المستشرقين يؤمنون بالوحي تارة ؛ أي لدى نسبته إلى أنبيائهم ؛ ويكفرون به تارة أخرى ؛ لدى دعوتهم ليؤمنوا بخاتم المرسلين عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين ؛ فقد جابهتهم ـ بتحد كبير ـ وطالبتهم بتقديم أوصاف وسمات الوحي الصحيحة في أنبيائهم الذين يؤمنون بهم . لنناقشها . ثم نحتكم الى صحيحها في إعلان تحقق وحي الله الى رسوله محمد عليه أفضل

الصلاة والسلام . وفي تقديري أنهم لن يستجيبوا لهذا التحدي أبدا .

وقد اشتملت الصورة الصحيحة للوحي التي قدمتها ـ في الباب الثاني ـ على اثبات الوحي الى رسول الله ﷺ في مناقشة أهل الكتاب أولاً . وفي مناقشة المشركين والملاحدة وأضرابهم ثانيا . وبرهنتُ على إمكان الوحي عقلاً ووقوعه فعلاً .

كما سردتُ سماتِ الوحي وخصائصه في الفصل الثاني وكنت بذلك أول من استخلص أهم خصائص الوحي بشكل علمي منهجي . ثم تعرضت الى نقض أهم شبهات المستشرقين في الفصل الثالث من الباب الثاني .

ثم ختمت بحثي بتقديم توصيات ومقترحات هامة ، نوهت فيها بالمطالب الضرورية في كتاب السيرة المعاصر . وأبرزت أهمية مضامين الكتاب في فهرس تفصيلي .

ولابد لي أن أعرب عن شكري الجزيل لكافة العلماء الأفاضل الذين أمدوني بتوجيهات نافعة في هذا البحث .

وأسأل الله تعالى من فضله العظيم أن يتقبل مني جهدي ، ويجعل هذا البحث خالصا لوجهه الكريم ، وأن ينفع به طلاب العلم ورواد الحقيقة . ويجعله ذخرا لي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .



الباب الأول

[باب تمهيدي]

الاستشراق

* نشأة الاستشراق
* دوافع الاستشراق
* أوجه النشاط الاستشراقي
* خطة الاستشراق
* اختلال مناهج البحث الاستشراقي
* أهداف المستشرقين

الاستشراق

انداحت دائرة الاسلام في أرجاء المعمورة حتى بلغت جبال الصين شرقا وحدود فرنسا غربا . في نحو قرن من الزمان . هيمن الاسلام على العالم كما أخبر رسوله المصطفى ﷺ . فلو نظرت في خارطة العالم القديم لعاينت مصداق خبره ﷺ ، خاصة اذا لاحظت أن قارتي (أمريكا وأوقيانوسيا) لم تكونا معروفتين آنئذ . وان بقاع العالم التي لم يدخلها المسلمون لم تكن ذات شأن يومئذ .. والتخلف والجهل ؛ والفقر والمرض ؛ والفوضى والظلم ؛ والضعف والخمول ؛ كانت سمات المجتمعات الانسانية يومئذ ؛ إلا من نوَّر الله قلوبهم بالاسلام .

إنبهر الغرب بتقدم المسلمين العظيم ، فأراد أن يتلافى بعض تخلفه ، فراحت بعثاته تتلقى العلم والنور من الأندلس وصقيلية . وهذا في الواقع مطلع الاستشراق - في رأينا - وقد تلقى أبناء الغرب من علماء الاسلام مختلف العلوم ، اذْ لمْ يضنوا عليهم بشيءٍ - على العكس من فعل الغربيين اليوم - فتعلموا الطب والفلسفة والمنطق والرياضيات والفلك ..الخ كما أتيحت لهم فرص ثمينة لمعرفة الاسلام وعلومه من مركزي الاشعاع الاسلام في الغرب (الأندلس

وصقيلية) .

ونبغ كثيرون بعضهم رهبان ، منهم الراهب الفرنسي « جربرت » وقد انتخب بابا لكنيسة روما سنة (٩٩٩م) وكان تلقى علومه في الأندلس .

وقد توالت البعثات على الأندلس منذ استقر المسلمون فيها . وفي أوائل القرن الخامس الهجري أرسل جورج الثاني ملك انجلترا ابنة أخيه الأميرة « دوبانت » على رأس بعثة من ثمان عشرة فتاة من بنات الأمراء والأعيان الى اشبيلية ، بمرافقة النبيل « سفليك » رئيس موظفي القصر الملكي . وأرسل معه كتابا الى الخليفة هشام الثالث آخر الخلفاء الأمويين بالأندلس ، جاء فيه بعد الديباجة :

(وقد سمعنا عن الرقي العظيم الذي تتمتع بفيضه الصافي معاهد العلم والصناعات في بلادكم العامرة ، **فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج هذه الفضائل لتكون بداية حسنة في اقتفاء أثركم ، لنشر أنوار العلم في بلادنا التي يحيط بها الجهل من أركانها الأربعة** . وقد أرسلنا ابنة شقيقنا الأميرة « دوبانت » على رأس بعثة من بنات الأشراف الانجليز ، لتتشرف بلثم أهداب العرش والتماس العطف ، ولتكون مع زميلاتها موضع عناية عظمتكم وحماية الحاشية الكريمة وحدب من لدن اللواتي سيتوفرن على تعليمهن ، وقد أرفقت الأميرة الصغيرة بهدية متواضعة لمقامكم الجليل ، أرجو التكرم بقبولها مع التعظيم والحب الخالص . من خادمكم المطيع) .

« جورج »

وقد رد الخليفة هشام الثالث على ملك انجلترا « جورج » برسالة

جاء فيها :

(لقد اطلعت على التماسكم فوافقت بعد استشارة من يعنيهم الأمر على طلبكم ، وعليه فاننا نعلمكم بأنه سينفق على هذه البعثة من بيت مال المسلمين دلالة على مودتنا لشخصكم الملكي . أما هديتكم فقد تلقيتها بسرور زائد . وبالمقابلة أبعث اليكم بغالي الطنافس الأندلسية وهي من صنع أبنائنا هدية لحضرتكم وفيها المغزى الكافي للتدليل على اتفاقنا ومحبتنا . والسلام .)

« خليفة رسول الله على ديار الأندلس : هشام »

وفي عهد ملوك الطوائف بالأندلس كانت توفد الى معاهد غرناطة واشبيلية وغيرهما بعثات من فرنسا وايطاليا والأراضي الواطئة ، لتنهل من الحضارة الاسلامية العربية . وكان طلاب هذه البعثات يعجبون بالحياة الاسلامية وتقاليدها وثقافتها حتى إنَّ بعضهم اعتنق الاسلام وفضل البقاء بالأندلس ولم يعد إلى بلاده [1] .

وظل الغرب عالة على علوم المسلمين . ولما نشطت الدراسة فيه كانت كتب العرب هي المصادر العلمية الأصلية في جامعاته . وظلت بعض جامعاته في النمسا تدرس بعض كتب الطب العربية حتى نهاية القرن التاسع عشر .

لقد وجد منذ البداية أفراد منهم درسوا الاسلام واللغة العربية حتى قاموا بترجمة معاني القرآن وبعض الكتب العربية العلمية

تاريخ الحضارة الاسلامية ـ جاد محمد رمضان ـ ص ١٧٧/١٧٦ .

والأدبية . قال العلامة أبو عبدالله الزنجاني في كتابه « تاريخ القرآن » :

(ربما كانت أول ترجمة للقرآن الى اللغة اللاتينية لغة العلم في أوربا . وذلك في سنة ١١٤٣م بقلم « كنت » الذي استعان في عمله ببطرس الطليلي وعالم ثانٍ عربي . فيكون القرآن قد دخل أوربا عن طريق الأندلس . **وكان الغرض من ترجمته عرضه على « دي كلوني » بقصد الرد عليه** . ونجد فيما بعد أن القرآن ترجم ونشر باللاتينية سنة ١٥٠٩م ولكن لم يسمح للقراء أن يقتنوه ويتداولوه . لأن طبعته لم تكن مصحوبة بالردود . وفي عام ١٥٩٤م أصدر هنكلمان ترجمته وجاءت على الأثر سنة ١٥٩٨م طبعة مراتشي مصحوبة بالردود ..)[1] .

غزا الغرب الشرق في حرب صليبية حاقدة ضارية .. ومكثوا في الشرق قرنين من الزمان . وسيطروا على مواقعه الممتازة وعلى قلب العالم الاسلامي فلسطين .. وخفتت الأصوات وتلاشت المقاومة وطاب المقام للصليبيين في بلاد الاسلام . يأخذون من خيراته وينهبون أمواله وينهلون من علومه . ويقتبسون أصول صناعاته وفنونه المتقدمة في جميع جوانب الحياة . ويرسلون الى بلادهم من كتبه المخطوطة وتراثه العلمي الثمين بغير حساب . **وتمكنت الصليبية من أعناق المسلمين وديارهم .. انقطع الأمل وبطل العمل .. ودخل في روع الصليبيين وعامة المسلمين أن الأمر انتهى . وأن على**

(١) نقلا عن مناهل العرفان جـ ٢ ص ٤ .

الاسلام السلام ، لا تقوم له قائمة الى الأبد .. لكن أناسا عرفوا أن لا ملجأ إلا إلى الله وحده .. وكان في ذروتهم عماد الدين (ـ ٥٤١هـ) ثم نور الدين الشهيد (ـ ٥٦٩هـ) ثم صلاح الدين الأيوبي (ـ ٥٨٩هـ) فجاهدوا في الله حق جهاده فانحسر ظلام الصليبية عن الشرق . وأشرقت عليه شمس الاسلام من جديد ..

أدرك الغرب يقينا أن التغلب على المسلمين والتحكم فيهم عسكريا حدث قصير العمر . فانصرفت همم مفكريهم وعلمائهم إلى الغزو الفكري . وكان العلم في أوربا آنئذ حكرا على الكنيسة ورجالها . فنشطت الدراسات الاستشراقية حتى عصرنا هذا وصحبها السطو على التراث الاسلامي ومؤلفات المسلمين المخطوطة بالسرقة والرشوة .. فبلغت نوادر المخطوطات العربية في مختلف العلوم في مكتبات أوربا مائتين وخمسين ألف مجلد في مطلع القرن التاسع عشر ، ولا تزال في ازدياد حتى أيامنا هذه .

ولا نعرف على وجه التحديد أول غربي اتجه الى دراسة العلوم الاسلامية ، ولا تاريخ البدء بذلك . لكنا نعلم أن الاستعمار الغربي للشرق ، قد أخرج الاستشراق من الاقتصار على دراسة علوم الاسلام ولغته وحضارته إلى دراسة أحوال الشرق دراسة كاملة ، بدياناته وعاداته وحضاراته وتقاليده وجغرافيته واقتصاده ولغاته .. لكنهم أوْلوا علوم الاسلام العناية العظمى لأن نهضته ـ في توهمهم ـ أعظم رهبة ، وترنحه أكبر غنيمة !!؟

فالاستشراق هو دراسات غير الشرقيين لحضارات الشرق وأديانه ولغاته وتاريخه وعلومه واتجاهاته النفسية وأحواله

الاجتماعية . وبخاصة حضارة الاسلام وأحوال الأمة الاسلامية في مختلف العصور . وللقائمين بالاستشراق دوافع بعثتهم على السير فيه . وجعلت لهم أهدافا معينة . فسلكوا لتحقيقها أساليب لم يعرفها تاريخ البحث العلمي اطلاقا . ولم يعول عليها أحد من علماء الغرب في غير الدراسات الاستشراقية !

ونحن نميز في المستشرقين أناسا أصحاب حياد وانصاف . وهؤلاء لهم كتابات معتبرة . وفيهم مسلمون . ومعظمهم مغمور غير معروف ، لا يتلقون شيئا من مساعدات المسلمين أو غيرهم . بينما تجد المتحامين من المستشرقين يلقون عناية حكومية وكَنسيّة ودعما ماديا ومعنويا من جهات متعددة ..!! منها أجهزة المخابرات في بلادهم !!؟؟

وقد دأبت الكتابات الاسلامية المعاصرة على اطلاق كلمتي « المستشرقين والاستشراق » على المغرضين منهم . وعلى اتجاهاتهم المنحرفة في الأبحاث الاسلامية . ومن الطبيعي أن نورد نفس الاطلاق عليهم . ولسنا نقصد إلا الصنف المنحرف منهم . هذه ملاحظة هامة في سائر كلامنا . نسأل الله تعالى أن يهدي قلوب العباد اليه .

دوافع الاستشراق

١ ـ **الدافع الديني** : ظل العلم في أوربا حكراً على الكنيسة ورجالها حتى عصر النهضة الأوربية . فنشأ الاستشراق برجال الكهنوت بتوجيه من الكنيسة . وقد دفعتهم العصبية الكنسية الى

تشويه حقائق الاسلام وقلب محاسنه مساوئ ، فدعموا بذلك سلطانهم الديني على شعوبهم . وأوهموهم أن الاسلام دين لصوصية وسلب ونهب وسفك دماء وزنى وإدمان خمور وقمار وشهوات آثمة . فأعطوا صورة تافهة شنيعة عن الاسلام ، لا تمت اليه بصلة من قريب ولا بعيد .. دفعهم إلى هذا إنتشار اليقظة الفكرية في شعوب أوربا وزهدهم في أفكار الكنيسة ونفورهم من تخاريفها وإعراضهم عن الديانة المسيحية . فصار مرتقبا دخولهم في الاسلام لو عرفوا حقائقه مما حدا برجال الكنيسة الى اختلاق هذه الصورة الشوهاء عن الاسلام وإشاعتها في شعوب الغرب لاقناعهم أن الاسلام دين لا يستحق الاعتناق .

استمرت الدراسات الاستشراقية على هذه الشاكلة حتى مطلع القرن العشرين تقريبا . فقد كثرت اتصالات الغرب بالشرق ، وأصبح كثير من الأوربيين يطلعون بأنفسهم على حقائق الاسلام وأخلاق نبي الاسلام محمد عليه الصلاة والسلام وعلى معان حقيقية من القرآن العظيم كتاب رب العالمين .. وهكذا تلاشت الثقة بكتابات الاستشراق القديمة . مما حدا برجالاته أن يغيروا منهجهم فظهر كتاب « الأبطال » لكارليل . ترجم فيه لعدد كبير من الأبطال في نظره ، وأدرج جانباً مشرقاً من سيرة محمد ﷺ على أنه بطل عظيم لا أنه رسول كريم . ودخلت التفلسفات والتفسيرات المادية في عرض المستشرقين للاسلام . وهذا ما عبر عنه المستشرق السير هاملتون جب بقوله « لقد تغير إهتمام العلماء وموقفهم كثيراً خلال نصف قرن تقريباً ، منذ مؤلفات كايتاني وبهل عن حياة محمد » .

ولكن الذي يهمنا أن نتبين تخوف عدماء الغرب على شعوبهم من اعتناق دين الاسلام . وفزعهم من جاذبيته القوية . حتى حملهم ذلك على تغيير منهجهم بعد افتضاح التزييف والتزوير الذي قامت عليه دراساتهم عدة قرون . وأضحت هذه الدراسات تنقسم الى مدارس بحسب أغراض ودوافع مموليها والقائمين عليها . وتبدو مدارسهم كما يلي :

١ ـ المدرسة النصرانية ، ولها نزعتان : الكاثوليكية والبروتستانتية .

٢ ـ المدرسة اليهودية .

٣ ـ المدرسة الالحادية العامة .

٤ ـ المدرسة الالحادية الشيوعية .

٢ ـ الدافع الاستعماري : لم تنقطع أطماع الغرب في الشرق بعد الهزيمة الكبرى في الحروب الصليبية . فعكف علماؤه على دراسة الشرق ، عقائد وعادات وأخلاقاً وثروات ولغات وتاريخاً ؛ ودراسة خصائص الشعوب وأحوالها وجغرافية الشرق ومزاياها والمواقع الهامة فيه . فعرفوا بواعث الشرق الى القوة والمجد ومواقع الخير والانتاج والعبقرية والتفوق ومواقع الجدب وهزال الامكانات والمواهب . فلما تمكنوا عسكريا من الشرق وخاصة بعد الحرب العالمية الأولى أفادوا من خبراتهم في تحطيم قوى الشرق واضعافه روحيا ومعنويا واستلاب كنوزه العلمية والمادية . وعرفوا الفئات التي يمكن أن يتخذوا من أهلها صنائع لهم وعملاء وحاولوا إفقاد الشرق ثقته بنفسه ومبادئه وتراثه وحضارته وتقاليده وآدابه وأخلاقه فأمكنهم أن يخرجوا

ضعاف النفوس وجهلاء الناس من دين الله أفواجا أفواجا ، فتم ابتزاز خير الشرق ماديا وتخريب شعوبه دينيا وتمزيق وحدته وشمله اجتماعيا . فأيقظوا الفتن الطائفية من درزية وعلوية .. والنعرة الصليبية في نصارى الشرق . وأحيوا الأفكار القومية من عربية وكردية وفارسية وتركية وفرعونية .. فتمت لهم الهيمنة على الشرق بتطبيق مبدئهم الأساسي : (فَرِّقْ تَسُدْ) .

٣ ـ **الدافع السياسي** : قامت دول الغرب اثناء الاستعمار وبعده بالاستفادة من دراسات الاستشراق . فجعلت في سفاراتها وقنصلياتها أناسا على تضلع بالدراسات الشرقية . فأدوا بذلك أدواراً كثيرة منها إقتناء عملاء لدولهم على الصعيد السياسي والفكري والتربوي والاعلامي في الاذاعة والصحافة .. فكثر الناعقون المتحذلقون بتفلسفات جوفاء فاضحة البطلان ، لا تخدم سوى سياسة السادة الممولين . ومن ذلك إثارة الفتن بين السكان .. وطبخ الانقلابات العسكرية لصالح سياسة دولة من دولهم .. وما أكثر الانقلابات المخربة التي قامت بسبب تنافس الدول الغربية في بسط نفوذها .. ! وما أكثر الفتن .. وما أكثر الدماء .. ! !

٤ ـ **الدافع الاقتصادي** : عرف الغرب الموارد الطبيعية في الشرق والثروات الأرضية الباطنية . كما عرف الأسواق التجارية والصناعات المحلية .. فاستغلوا ذلك كله ، وحطموا الصناعات المحلية .. وعرقلوا إنشاء المصانع الحيوية الحديثة بالضغط السياسي أحيانا وبالانقلابات أحيانا أخرى فصار الشرق سوقا استهلاكية

لانتاج الصناعات الآلية الغزيرة الانتاج . يعطي المسلمون للغرب المواد الخام بأبخس الأثمان ثم يستوردون منه بعضها مصنوعة بأفحش الأسعار .. ! !

٥ ـ **الدافع العلمي** : ولا ننكر أن فئة من المستشرقين قليلة العدد عكف رجالها على دراسة الاسلام بدافع علمي سليم . فجاء نتاجهم العلمي أقل أخطاء من نتاج غيرهم . وسبب أخطائهم جهلهم بالعربية وتأثرهم بالمفاهيم الغربية . لكن جاء انتاجهم بريئا من الخبث والدس والمكر والتحريف . وقد هدى الله قلوب نفر منهم فآمنوا بالقرآن كتاب الله تعالى ومحمد رسول الله ﷺ . ولم تتسع دائرة هؤلاء فإن أبحاثهم لم يرحب بها الساسة ولا الكنيسة في الغرب والشرق . فلم يلقوْا تمويلاً ولا دعماً . ولا يدر عليهم انتاجهم كسباً مجدياً . ومن هؤلاء « الفونس اتييس دينيه » الملقب بناصر الدين . وهو فرنسي ولد في باريس سنة ١٨٦١ . وكان فنانا مرهف الحس . تفحص الديانة المسيحية والرسوم الكنيسة فلم تشبع تطلعه العقلي والعلمي . فاطلع على الاسلام وأعلن اعتناقه إياه . ثم أصدر كتبا فيه . منها : « أشعة خاصة بنور الاسلام » و« محمد رسول الله »[١] و « الحج الى بيت الله الحرام » . ومن المستشرقين المنصفين أيضاً « موريس بوكاي » وقد ألف كتابا عن القرآن والعلم الحديث بالفرنسية . لكنه ترجم الى العربية بعنوان

---

(١) وقد ترجمه الى العربية الدكتور عبد الحليم محمود . والدكتور محمد عبدالحليم محمود . وقد نشرته دار المعارف المصرية مع تقدمة نافعة « للدكتور عبد الحليم محمود ، شيخ الأزهر سابقاً رحمة الله عليه » .

« دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة »[1] كما ترجمه مؤلفه إلى الانكليزية وتم نشره بالانكليزية . ومنهم أيضا السيدة الألمانية « زغريد هونكه » صاحبة كتاب « شمس الله تسطع على الغرب » لكن المشرف على نشره مسيحي فنشر ترجمته بعنوان « شمس العرب تسطع على الغرب »[2] .

إن هؤلاء وغيرهم قد تلقى المسمون إنتاجهم ـ على ما فيه من أخطاء عفوية ـ بالترحاب والاقبال على مطالعتها . ووقفوا منهم موقف التقدير والاحترام لأنهم قاموا فعلا بأبحاثهم بتفكير حيادي موضوعي يبغي الحقيقة وامتطوا صهوة الجرأة فجهروا بالحق الذي توصلوا إليه دون مجاملة ولا تملق . ومن هنا فان الكُتّاب المسلمين الغيورين على دينهم يشيرون الى فضل هؤلاء . ولا يقفون من أخطائهم موقف المهاجم المندد . **وكل تنديد عام بالمستشرقين إنما يراد به تلك المدارس الاستشراقية المغرضة الجانية على الحقيقة** . أما أخطاء المنصفين من المستشرقين فقد قوبلت بردود هادئة فيها التقدير والود الى جانب التصحيح . ومن ذلك ما قدمه الاستاذ العلامة المحامي الكبير محمد السبسبي رحمه الله في رده على أخطاء كتاب « شمس العرب تسطع على الغرب » للمستشرقة « زغريد هونكه » وقد وزعت نشراته مجانا على العلماء والمثقفين كما نشرته بعض المجلات الاسلامية[3] .

(١) نشرته دار المعارف المصرية

(٢) نشر في لبنان .

(٣) قارن دوافع المستشرقين مع كتاب حنحة مكر الثلاثة ص ٩١ـ٩٤

أوجه النشاط الاستشراقي

١ ـ يباشر المستشرقون بأنفسهم ممارسة نشاطات في العالم الاسلامي . إذ يؤازرون المبشرين في أعمالهم التبشيرية ويمدونهم بالخبرات والمعالجات لكثير من المسائل والمواقف . كما يباشرون نشاطهم في الجامعات العربية والاسلامية بالقاء محاضرات . مفعمة بالتغرض والتلبيس وتشويه الحقائق . وان أكثرهم فتكا بالاسلام وتضليلا للمسلمين الذين لهم تلامذة أوفياء لفكرهم في جامعاتنا . يستدعونهم للمحاضرة فيها . وينال التلامذة أجورهم دعما ماديا أو معنويا يوصلهم إلى الرتب العالية والمواقع الحساسة في الدول العربية والاسلامية . وقد بدأ نشاطهم الجامعي في مطلع الاستعمار الحديث للبلاد الاسلامية . ونشاطهم في جامعات مصر ولبنان وغيرهما لا يحتاج إلى تعريف !

٢ ـ وبث المستشرقون سمومهم في مقالات نشرتها مجلات خاصة بالابحاث الاستشراقية . ولم يكفهم هذا حتى نفثوا سمومهم في المجلات والصحف المحلية المأجورة في أرجاء العالم الاسلامي . وهكذا غزِيَ المسلمون فكريا في عقر دارهم . وحسبنا الله ونعم الوكيل .

٣ ـ قام المستشرقون بتأليف الكتب في جميع العلوم الاسلامية . كما حققوا ونشروا بعض الكتب المخطوطة القديمة ، لكن بمعاونة علماء مسلمين لم تذكر اسماؤهم في معظم الأحيان . وانصب معظم اهتمامهم على علوم القرآن والسنة لأنهما المصدران الأساسيان للدين الاسلامي . ثم على سيرة الرسول الكريم ﷺ ..

للطعن في نبوته من خلال عرض حوادث السيرة باسلوب من الكذب والتحريف.. ولكن يأبى الله إلا أن يحق الحق ويبطل الباطل وأن يتم نوره ولو كره الكافرون!!

٤ ـ عمد كبار المستشرقين إلى تأليف الموسوعات الاسلامية وإصدارها بعدة لغات. وتمت ترجمة بعضها إلى العربية.. وللموسوعة جدوى علمية ميسورة لمثقف العام. بتبسيط لا نجده في معظم التراث الاسلامي. مما جعلها موضع أقبال أبناء المسلمين ايثارا للراحة من حل معضلات الكتب العلمية العميقة. وعرض المستشرقون بأساليبهم المعهودة ودسوا السُم في الدسم وحرفوا وغيروا الكلم عن بعض مواضعه وتجاهلوا حقائق باهرة كثيرة غزيرة فلم يوردوها.. !!؟

٥ ـ عقد المستشرقون مؤتمرات للمدارسة وتبادل الخبرات فيما يحقق أهدافهم، ولا زالوا يعقدونها باستمرار. وكان أولها في باريس سنة ١٨٧٣م.

٦ ـ إن ذروة النشاط الاستشراقي إنشاء كليات وأقسام للدراسات الاسلامية في جامعات الغرب ومنح الشهادات العالية (الماجستير والدكتوراه) لطلاب شعوب العالم الاسلامي في العلوم الاسلامية. فاستغل المستشرقون بذلك تلهف الشرق الى الشهادات والألقاب[1]، فصيروا أنفسهم مصدرا وثيقا للعلوم الاسلامية. وأشعروا بعض المسلمين بهذا حتى في علوم دينهم، ليفقدوهم الثقة

(١) أنظر أجنحة المكر الثلاثة ص ٨٧ ٨٨ و٩٨ ٩٩

بأنفسهم ، فيتعلقوا بتعلم العلوم حتى علوم دينهم من عدوهم .. ! ! ؟ لقد حقق هذا اللون من النشاط غاية ما تصبو اليه أنفس المتحاملين من المستشرقين . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

خطة الاستشراق

إن معرفة دوافع الاستشراق ومناهجه وأهدافه وخططه إنما يكون بتقصي الباحث كتابات المستشرقين وأعمالهم ومقرراتهم وتصريحاتهم ومن ملاحظات واقعية .

ونستخلص المخطط الاجمالي للاستشراق المغرض فيما يلي :

١ ـ **الهجوم على الاسلام واحداث جلبة عالية حوله بتقديم ركام ضخم من المطاعن والشبهات** ، ليحولوا بذلك دون انتشاره في غير المسلمين وخاصة في الغرب ، وليقعدوا المسلمين عن التمسك به نظاما سياسيا واجتماعيا وفرديا ، أو يخرجوهم منه ويتسببوا في دخولهم النصرانية بالتعاون مع حركات التبشير المسيحية . وعلى كل فانهم إذا أخفقوا في هذا فان غاية جليلة تتحقق لديهم وهي تشكيك شباب الاسلام بدينهم وإخراجهم عنه فليسوا بشكوكهم مسلمين ولا مسيحيين . وقد صرح المبشرون برضاهم التام عن تحقق ذلك الغرض الخبيث في بعض مؤتمراتهم[١] .

(١) طالع خطبة رئيس المبشرين في الشرق ؛ القسيس الدكتور « صموئيل زويمر » التي ألقاها في مؤتمر القدس التبشيري (١٩٣٥م) وذلك في كتاب : أجنحة المكر الثلاثة ص ٥٨/٦٠ .

٢ ــ انصبت مطاعنهم وشبهاتهم **بتركيز قوي على القرآن والسنة** لأنهما المصدران الأساسيان للاسلام عقيدة وشريعة . كما انصبت بنفس **التركيز على سيرة النبي الكريم ﷺ** . ولكن ليس لدراسة أحداثها واحقاق الحق فيها ، إنما من وجهة اعتقادية بحتة .. فما يوردون الحوادث إلا لتوجيه الطعن في نبوته ﷺ من خلال تفسيراتهم أو تحريفاتهم .

فان المسلم اذا شك في نبوة رسول الله ﷺ خسر لهفته إلى التمسك بالدين ، وغدا مذبذباً حائراً تائهاً .. ! !

وكذا أرادوا من الهجوم على القرآن بطعنهم في ثبوت نصه وفي معانيه .. كما طعنوا في ثبوت السنة النبوية ومعانيها .. وذلك ليفقد المسلم الثقة بها ويخرج من دينه . فيهون شأن المسلم وأثره ، ويخوض في لجج الضياع ويسلس مقادته لكل ناعق عمل للغرب .. وهذا غاية مساعي الاستشراق المرتبط ارتباطا وثيقا بالتبشير والاستعمار .

ومن مخططهم تبديد رجولة المسلمين بفتح أبواب الغواية والفساد الجنسي .. وكان لهذا الغرض الخسيس مدخل حساس خطير وهو حقوق المرأة المسلمة وحجابها .. فصدرت الأبحاث منهم ومن عملائهم عن تحرير المرأة واختلاطها بالرجال وعن تاريخ الحجاب وزعمهم عدم ثبوته في القرآن . وأنه من تقاليد العباسيين وتكلموا عما أسموه نظام الحريم .. ! ! وتعمدوا إثارة الضجة العالية بوسائل الاعلام حول ذلك في فترات متقاربة ، ولا زالوا على نهجهم ذاك .. ! !

وهاجموا التشريع الاسلامي .. وقد وجدوا عظمة مزاياه

فزعموه مقتبسا عن الرومان ..

وفي صَميم مخططهم شن الغارة على التاريخ الاسلامي بتأويل صفحاته البيضاء تأويلا سخيفاً ، ليذهب بروعتها من ذهن القارئ الساذج . ولا يعرضون من تلك الصفحات الناصعات إلا القدر الوجيز ، ثم يفيضون في تفاصيل الفتن .. ويصبون الدسائس والتهاويل فيها بغير مكيال .. ! !

٣ ـ التوسع في الحديث عن كل ما يتصل بالشرق في حاضره وتاريخه بما يتنافى مع الاسلام عقيدة أو شريعة ، وخاصة إذا كان يؤدي إلى تمزيق وحدة الأمة الاسلامية وانقسامها . فجرى التوسع في الحديث عن الجاهلية مع اكبار شأنها وقلب كثير من مساوئها مزايا وفضائل .. للايهام بأن الاسلام قبس منها ، **وأحيانا أخرى لانعاش فكرة القومية العربية ومحاولة اختراع مرتكز فكري وتاريخي لها** . كما ترى البحث المفصل عن الأقليات الجنسية والدينية .. واثارة مبدأ القومية وما يتضمنه من مخاطر ونعرات كالقومية العربية والفرعونية .. **كما عنوا باثارة النزعات العرقية القومية عنوا أيضا بالأقليميات والعصبيات والنعرات الأخرى .. مثل عنايتهم بالفرق الباطنية وأقلياتها .. وعنوا بالخلافات الدينية المذهبية ..الخ** .

وتم لذلك كله الدعم القوي والدعاية الواسعة ، لتوطيد ما يخالف الاسلام من أفكار ومعتقدات ومبادئ وقيم وأخلاق وعنصريات ونعرات .. لتكون شوكة مقلقة في جنب الاسلام ، وعائقا دون انتشاره وتشبث أبنائه بتطبيقه . وهذا المخطط يخدم

الاستعمار ويتلاقى مع مخططه في نشر ما يحارب الاسلام من أفكار ونظم كالقومية والاشتراكية والوجودية .. لتتآزر معاول التخريب في هدم بنيان الاسلام . ﴿ **يريدون لِيطفئوا نورَ اللهِ بأَفواههم واللهُ مُتمُ نورهِ ولوْ كَرهَ الكافرون** ﴾[1] .

اختلال مناهج البحث الاستشراقي

وتحديد مناهج المستشرقين في البحث غير ممكن إلا باستخلاصه من مطالعات طويلة لكتاباتهم . فإنهم لم يحددوا لأنفسهم منهجا ناقشهم فيه أو نقاضيهم اليه . فلا تجدهم أعلنوا عن منهج عام في البحث العلمي وطبقوه ولا عن منهج خاص بعلم من العلوم ! !

لكنا نتيجة لمطالعاتنا تآليفهم ومطالعات من سبقنا من أهل العلم ، نجد للمستشرقين منهجاً خاصاً في كل علم من العلوم .. ففي الدراسات القرآنية لهم منهج مشترك بينهم لا يزال قدوتهم في تطبيقه أستاذهم اليهودي «جولد تسهر» ولسوف نكشف عن استخلاصنا اياه في كتاب « الأحرف السبعة في القرآن » الذي ندعو الله أن ييسر نشره قريبا . وتقدم شقيقنا العلامة المحدث الدكتور نور الدين عتر بنقد منهج المستشرقين في علوم الحديث وكشف عن اختلال منهجهم علميا من عدة وجوه . وذلك في كتابه القيم « منهج النقد في علوم الحديث »[2] كما استخلص أستاذنا العلامة الدكتور مصطفى السباعي جوانب من منهج المستشرقين ومتابعيهم في

---

(١) سورة الصف ٨ .

(٢) تجد ذلك في ص ٤٤٥ وما بعدها وفي مواطن أخرى .

الدراسات الحديثيَّة في كتابه القيم « السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي »[1] .

إنه لا يكاد يخلو كلام مستشرق من الزعم بأنه يلتزم البحث العلمي الموضوعي والحياد فيه .. أو أنه رجل مؤرخ . يبغي الحقيقة لوجه التاريخ .. (كذا) !! أو أنه رجل متدين موحد يدعو إلى وحدة الأديان وتعاونها .. !! ولا تجد شعاراتهم هذه إلا أحابيل الأباطيل !!

لكنك تجد بصورة عامة منهج المستشرقين المغرضين قد امتاز عن مناهج البحث العلمي المعقولة المقبولة بما يلي :

١ ـ وضع النصوص في غير مواضعها ، وتحميلها ما لا تطيقه ألفاظها ولا تدل عليه معانيها .

٢ ـ تحريف النصوص الاسلامية ، كما فعل المستشرق اليهودي « جولد تسهر » في زعمه أن أحاديث قراءة القرآن على سبعة أحرف هي من قرارات عمر بن الخطاب .

٣ ـ اعتمادهم أقوالا باطلة ردها علماء الاسلام بدلائل علمية حاسمة ؛ وتجاهلهم تلك الدلائل !! بل ينسبونها ـ أحياناً ـ إلى العلماء الذين ردوها على أنها آراؤهم المعتمدة « وقد فعل ذلك جولد تسهر » .

٤ ـ اقتطاع فقرة من نص علمي للاستدلال به على غرض خبيث ؛ ينقضه النص لو تم ايراده كاملا !!

---

(١) أنظر ص ٤٤/١٢ ومواطن أخرى .

٥ ـ اغفال الحقائق التي تخالف استنتاجاتهم وتدحضها ، على الرغم من اطلاعهم الأكيد عليها ، بدلالة قرائن كثيرة في نفي البحث الذي يقدمون فيه تلك الاستنتاجات .

٦ ـ تعمد اساءة فهم النصوص وتوجيهها إلى غير دلالاتها والمغالطة فيها وفي المناقشات العلمية . أفاد ذلك الدكتور فؤاد سزكين في نقده « جولد تسهر » .

٧ ـ تابع المستشرقون المشركين الجاهلين في بعض آرائهم عن الوحي والقرآن والمعجزات .. كما تابعوا كفرة الباطنية وزنادقة المجوس واليهود والنصارى في نقولات عن جمع القرآن والأحرف السبعة .. ! !

٨ ـ تحريف دلالات الوقائع التاريخية والانحراف في تعليلها ، ويتم لهم ذلك أحيانا بتحكيم مفاهيم البيئة الغربية ـ على الرغم من فسادها ـ في تفسير النصوص والوقائع التاريخية ، ومن ذلك تعليل روائع الفتح الاسلامي المجيد ومزاياه ببواعث ورغبات « خيالية » مماثلة للغزوات الاستعمارية الغربية . وما أكثر ما يقترفون ذلك بتفسيرهم المادي السمج لمعظم مزايا الاسلام ودلائله وبراهين عظمته وسيرة نبيه الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم .

٩ ـ إيراد مقدمات جزئية ضعيفة ثم ابتناء نتائج ضخمة فضفاضة لا تتناسب مع تلك المقدمات ولا تنتج منها . وربما يدخل في هذا اطلاقهم الأحكام العامة بسبب بعض الحوادث الفردية في المجتمع الاسلامي . ويدخل فيه محاولتهم ابتناء نتائج حتمية على مقدمات محتملة توهما ولا دليل على حصولها أصلا ، كما سترى في

مزاعمهم عن الوحي .

١٠ - انهم يعولون في تواليفهم على مصادر ليست في مستوى البحث العلمي ، انما هي كتب تندر وتفكه أو تذوق أدبي مثل كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني أو كتاب الحيوان للدَّميري ..الخ . وربما يكون مؤلف بعض هذا النوع من الكتب مبتدعا تحمله بدعته على الطعن في أئمة الاسلام ، فيفترض المستشرقون كلامه ويتخذونه عمدة في أبحاثهم وحجة - دون دليل - على أن آراءهم مصيبة في البحث العلمي ! ![1]

أهداف المستشرقين

ومن مطالعة آراء المستشرقين وأعمالهم أقدم هذه المحاولة في تحديد أهم أهدافهم :

١ - منع انتشار الاسلام في أوربا وغيرها ، حفاظا على سلطان الكنيسة ومغانمها .. ويروي أعداء الاسلام من المستشرقين اليهود والنصارى والملاحدة غليلهم بصد الناس عن الاسلام . والجميع على تخوف أن يدركهم المد الحضاري الاسلامي في بلادهم ويغلبهم على أمرهم بايمان مواطنيهم به ! ! لذا تراهم في أبحاثهم كما قال الكونت هنري دي كاستري « ما كانوا يقصدون الحقائق التاريخية في أناشيدهم بل حِفظُ روح البغضاء في نفوس قومهم »[2]

---

(١) هذا مجمل المآخذ وكثير من تفاصيلها مع دلائلها في كتاب « منهج النقد في علوم الحديث » ص ٤٣٧-٤٥٥ ومواضع أخرى ، وفي كتابنا « الأحرف السبعة في القرآن ومنزلة القراءات منها » .

(٢) أنظر كتاب : محمد رسول الله - ايتين دينيه - مقدمة الدكتور عبد الحليم محمود ص ١٥

٢ ـ تحويل المسلمين عن دينهم ، واشاعة البلبلة الاعتقادية والفكرية في صفوفهم .. لتصير بلادهم لقمة سائغة للغرب ، ويصير المسلمون أتباعا له خاضعين لسلطانه . وأقل مطمع للغربيين أن تعينهم دراسات الاستشراق على إضعاف العالم الاسلامي بحيث لا يقدر أن يمنع عنهم المواد الخام كالمعادن والطاقة والمواد الزراعية .. مما يحتاجه الغرب حاجة ماسة .

ويلتقي الهدف الديني مع الهدف الاستعماري في الدراسات الاستشراقية في نقاط كثيرة .. منها اعتقاد النصارى في الغرب بعودة المسيح إلى فلسطين .. فتمزيق الاسلام وطحن المسلمين ييسر له مهمته في نظر الدهماء عندهم . وهذا من عوامل تأييد الشعوب الغربية لسياسة اسرائيل الاستعمارية العدوانية ! !

٣ ـ اقتباس أفكار ايمانية من الاسلام لتثبيت أقدام الكنيسة في بلادها بفكر ديني معقول . فقد نفر الأوربيون وغيرهم من المنطق التافه المنافي للعلم الذي تدعو به الكنيسة الى المسيحية . فدأبت الكنيسة على ايراد أفكارها الايمانية بدلائل معقولة ، قللت فيها من الاعتماد على صرف نظر المناقشين بأن المسألة المطروحة من أسرار الكنيسة . فأضحت إجابات رجال الدين النصارى اليوم تنسف مفاهيم كنسية قديمة كثيرة .. وذلك في مسائل القضاء والقدر كلزوم التداوي من الأمراض .. واختيار الانسان في اعماله الارادية .. وفي مسائل الايمان عامة كالايمان بوحدة الكون ووحدة نظامه في الأرض والأجرام السماوية[1] . وسلك رجال الكنيسة في ايراد

---

(١) انظر شمس العرب تسطع على الغرب ـ ريغريد هونكه ص ٢١٥ ومواطن أخرى .

الدلائل العقلية على الايمان بالله كثيرا من مسالك علماء الاسلام المتقدمين الواردة في الكتاب والسنة وكتب علم الكلام . ويتعرف الباحث على ذلك بالدراسة المقارنة .

وهذا لا يعني أن الفكر الكنسي الغربي قد تخلص من جميع آفاته بل إنه لا يزال يعول على ما نسميه : العقيدة الاحتياطية ، وعقيدتهم الاحتياطية هذه تتلخص في زعمهم : بأن العقيدة الدينية قضايا فوق العقل ، فالتسليم بها واجب ومناقشتها بالدلائل محظورة . وذلك تخلصا من نقاش عامة النصارى للأسس والعقائد الكنسية المنافية للعقل والعلم كالتثليث ونحوه.

٤ - يؤدي الاستشراق خدمات جليلة للاستعمار ، فانه بغير شك مصدر هام من مصادر الغزو الفكري . لقد مكّن الاستشراق الغرب من اتخاذ صنائع وعملاء في البلاد الاسلامية ، بواسطة الجامعات والمدارس التي إفتتحتها دول الغرب في الشرق وأشرف على توجيهها مستشرقون ومبشرون . ولم يكفهم ذلك حتى افتتحوا أقساما للدراسات الاسلامية والشرقية في جامعاتهم في الغرب .. وحفوا بالمغريات انتساب الشرقيين عامة والمسلمين خاصة اليها ، وراحوا يمنحون الشهادات العالية « الماجستير والدكتوراه » ووجد جنون الشرق بالشهادات مرتعا في الغرب يرتمي اليه .. وعرف الغربيون ذلك فأجادوا استغلاله .. فأفسدوا عقائد ونفوس وأخلاق شباب مسلمين وغير مسلمين ، وأوثقوا عقول كثير منهم بعجلة الغرب فلا يقولون إلا ما يرضي سادتهم وأساتذتهم هناك .. !

أما ما يروي من استغلال الطلاب المسلمين في الغرب من ناحيه

حاجتهم المالية ، أو ايقاعهم فريسة الشهوة الجنسية واحتفاظ بعض الجهات الرسمية بصور وأفلام لهم عن مزاولتهم الفواحش .. واتخاذ ذلك وسيلة استذلال لهم لدى عودتهم إلى بلادهم بتخويفهم من نشرها وفضحهم في بيئات الشرق الاسلامية ، ولاستخدامهم للاغراض الاستعمارية ..الخ . فانا سندع الآن الحديث عن هذا ، فلسنا بصدد التحقيق فيه .

٥ ـ جعل الدراسات الاستشراقية مصدرا لتعليم الاسلام للمسلمين أنفسهم ومصدرا للدراسات عن الشرق عامة. حتىٰ صارت دراسة تاريخه والتاريخ الاسلامي والعلوم الاسلامية كلها ، وحتىٰ دراسة اللغة العربية وفقهها وآدابها ولهجاتها .. صارت دراسة ذلك كله متوافرة في جامعات الغرب على طريقة الاستشراق وفي هذا حمل للشرق على إكبار شأن الغرب وتعظيم حضارته وتمكين سلطانه في الشرق عقديا وفكريا وتشريعيا وأخلاقيا واجتماعيا . ويؤدي بالتالي الى افقاد الشرق الثقة بنفسه وتوريطه في احتقار ذاته وأمته ، حتىٰ فت في عضد هذه الأمة بغضها الأهل وحب الغرباء ، على حد قول الشاعر .

والعجب كل العجب من انبهار بعض المسلمين بدراسات المستشرقين وتوليتهم الثقة الكاملة في أبحاثهم . لتوهمهم إنشاءها على الموضوعية العلمية والحياد والانصاف في البحث ابتغاء الحقيقة ..!! لقد غفل هؤلاء المخدوعون أن اليهود والنصارى ـ ومعظم المستشرقين منهم ـ قد حرفوا دينهم وعبثوا به وكتموا منه

وأضافوا اليه ما شاءت لهم أهواؤهم[1] فلم يكونوا في لحظة من لحظات تاريخهم أمناء عليه !! فكيف يغدون أمناء على دين خصومهم !؟ وهذا الدين الاسلامي هو الذي يخافون امتداد سلطانه الى بلادهم ! ولولاه ما قام لهم في تاريخ الشرق خصم أبدا ولا طرق أبواب أوربا جيش شرقي فاتح اطلاقا !!؟

لكن الطلاب النابهين عادوا من جامعات الغرب وأكدوا أنهم لم يستفيدوا علما اسلاميا من أساتذة الاستشراق ، انما عولوا على جهودهم وتكوينهم العلمي السابق في بلادهم . لكنهم أتقنوا في الغرب اللغة الأجنبية ، وعرفوا نوايا القوم وأساليبهم عن كثب نحو اسلامهم وأقوامهم على وجه التأكيد !! واطلعوا على أقوالهم وأعمالهم وعلى وصاياهم لأقوامهم في حرب الاسلام ـ مما لا ينشر عالميا ولا يصلنا الى الشرق ـ وأكدوا أن بعض هؤلاء الاساتذة هم من رجال المخابرات .

ويكفينا في هذا المقام أن نورد كلمة قيمة من كتاب قيم :

« وسقطت معظم الجامعات المنشأة في بلاد المسلمين . تحت الأيدي الخفية للاستشراق والتبشير والدوائر الاستعمارية ، وغدت خططها ومناهجها تخضع بطريق غير مباشر لما تفرضه وتمليه هذه

---

(١) قال الله تعالى : ﴿ **أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون** ﴾ البقرة : ٧٥ وأنظر النساء : ٤٦ والمائدة : ١٢ و١٤ وقال تعالى : ﴿ **إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم** ﴾ البقرة : ٧٤ وأنظر البقرة : ٤٢ و١٤٦ و١٥٩ ـ ١٦٠ وآل عمران : ٧١ والمائدة : ٧٧ والتوبة : ٣٤ .

الأيدي الخفية . وغدت الكنيسة الغربية تفخر بأن العلوم الاسلامية والعلوم العربية تدرس على طريقتها التي تخدم أغراضها في بلاد المسلمين . وبأن المشرفين على تدريس هذه العلوم من تلامذة أبنائها .

وأي انتكاس أقبح من هذا الانتكاس . أن يتعلم المسلمون دينهم ولغاتهم ، وفق طرائق أعدائهم وأعداء دينهم ، ووفق دسائسهم وتشويهاتهم وتحويراتهم وأكاذيبهم وافتراءاتهم . **هل يقبل اليهود والنصارى أن يتعلموا أصول دياناتهم وفروعها على أيدي علماء المسلمين ، وأن يأخذوا منهم الشهادات لذلك ؟**

فما بال المسلمين يسقطون في هذا الانتكاس المشين ؟ ان الاستعمار المادي أهون من هذا اللون من ألوان الاستعمار . الذي وصل الى القاعدة الكبرى التي تقوم عليها الأمة الاسلامية . وهي قاعدة دينها وعلومها المتصلة بهذا الدين »[1]

٦ ـ تحطيم الوحدة الفكرية : يثير المستشرقون البلبلة في صفوف المسلمين باحياء الخلافات الفكرية للفرق ـ والباطنية منها خاصة ـ والمذاهب المتطرفة . فإن قويت الآراء والتفسيرات المتناقضة المتضاربة وهاجت العصبيات لمناصرة كل فئة من المسلمين ما كانت توارثته من قبل ـ دون اعادة نظر ولا اعتدال ـ أدى ذلك الى البلبلة وايقاظ الفتن النائمة ـ لعن الله من أيقظها ـ وتمزقت الأمة الاسلامية أشلاء متناثرةً هنا وهناك في دويلات تقوم بينها الخلافات

---

(١) أجنحة المكر الثلاثة ـ الشيخ عبد الرحمن الميداني ص ٨٨ .

والمشاحنات لاختلاف النظم والمبادئ والمناهج السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وخاصة بعد اشتداد عزائم الأذناب على اثارة الفتن الطائفية والدعوات القومية .. وهكذا تمزقت الأمة الاسلامية دويلات دويلات .. وكل منها يعاني داخلياً من مطاحنات وخلافات داخلية أو فتن داميات .. وهكذا هان على ضباع الاستعمار الغربي انتهاش كل شلو من جسد الأمة الاسلامية دون أن تُبدي مقاومة مجدية .. فتم اقتسام البلاد الاسلامية بعد تدهور وسقوط الدولة العثمانية ، التي سماها المستعمرون بـ« الرجل المريض » . وقع ذلك كله وأذناب الاستشراق والتبشير والاستعمار يزيدون الطين بلة ، ويزعمون أن ذلك نتيجة التمسك بالدين . ويوهمون الشباب أن عليهم أن يبحثوا عن مناهج لا دينية تنقذ شعوبهم وتجمع الأمة الاسلامية والعربية .. وتعاموا عن السبب الرئيسي الحقيقي في هذا الدمار ، وهو الاعراض عن حقائق الدين وادخال العصبيات والمطامح الشخصية والعرقية واستغلال الاسلام بتأويلات غير معقولة ولا مقبولة .. حتىٰ تحقق للعدو كثير من أهدافه ! !

٧ ـ تمزيق الوحدة اللغوية في الأمة الاسلامية حرصا على تمزيق عقيدة الأمة ووحدتها . صبّ عملاء الاستشراق أشنع الاتهامات على اللغة العربية ، حتىٰ زعموا أنها لا تستطيع ان تساير موكب العلم الحديث والحضارة المعاصرة .. ومعلوم لدى دارسي العربية أنها أقوى لغات العالم في توليد الألفاظ والكلمات اللازمة للمعاني المستحدثة .. بالنحت والاشتقاق ..الخ .

ونشط المستشرقون في الطعن في حيوية اللغة العربية بأساليب كثيرة ، منها مزاعمهم الكثيرة في اقتباس كلمات عربية من لغات قديمة .. وإذا كانت الكلمات دينية مثل كلمة (قرأ ـ قرآن ـ التحنث والناموس ..) تعمدوا عزوها الى لغات أخرى لتنفيذ غرضين خبيثين :

أولها ـ غرض ديني : وهو التشكيك بنبوة سيد المرسلين ﷺ ، فزعموا أنه أخذ من الأديان الأخرى ومن قوانين الرومان .

ثانيهما ـ غرض لغوي : إذْ زعموا جمود اللغة العربية وعدم تلبيتها مطالب الناطقين بها !! زدْ على ذلك طعنهم في عسر تعلمها .. وما واكب ذلك من دعوة الى اللغات العامية لكل قطر عربي .. والى اللغات القومية لكل جنس . حتى انتشرت اللغة الأوردية والفارسية والتركية الطورانية وقويت اللغة الكردية .. وقد صحب ذلك كله الدعوة الى الكتابة بالحروف اللاتينية . مع أن هذه اللغات كانت متداولة ـ الى جانب العربية ـ في مستوى محدود ، لكن بالحروف العربية .. فأتمت أبواق الاستشراق والتبشير والاستعمار نشرها وتعميمها وأحلتها محل العربية ، وحاولت ولا زالت تحاول سلخها عن الاتصال بها بالحرف والخط ، حتى صارت الكتابة بالحروف اللاتينية دأب الأتراك مثلاً حفدة الخلافة العثمانية . ولا حول ولا قوة الا بالله العظيم ..

ولا يخفى على كل باحث أن هذه اللغة من أهم عوامل وحدة الأمة ـ كما هو مقرر في علم الاجتماع . فضرب وحدة اللغة ضرب لوحدة الأمة . أما بالنسبة للغة العربية فان ضربها أشد خطرا من

ذلك . **فهي عامل وحدة بين الشعوب الاسلامية ، وهي عامل تعلمهم الاسلام ووحدتهم فكريا واعتقاديا واجتماعيا وشعوريا بروابط الاخوة الاسلامية** .. لكن غفلة المسلمين وضعفهم وقوة شكيمة عدوهم ومعونة بعض أبناء الامة الاسلامية عدوهم على تحقيق هذا الغرض قد أدى بالأمة إلى خسرانها وحدة اللغة . ولا ننسى أن كُتّابا وأدباء كبارا قد تبنوا الدعوة الى اللغة العامية .. ومنهم طه حسين في مطلع عهده بالكتابة والتأليف ، وغيره كثير . ثم وهنت هذه الدعوة بعد أن انكشفت أغراضها وبواعثها . كما انكشف اخفاقها وعظيم أضرارها !

٨ ــ اضعاف الشخصية الاسلامية بالاحتيال في عرض تاريخ الاسلام : **أثبتت حقائق الأحداث أن الدراسات التاريخية الفاسدة أخطر سلاح في اضعاف شخصية المواطن . فالتاريخ هو شخصية الأمة** . وقد كشفت دراسات علم الاجتماع في الشعوب الأفريقية الوثنية . انها لا تشعر بذاتية قوية بسبب هزال تاريخها ، وأن ميل الكثير من المواطنين للتبعية والتقليد ميل قوي ، وهذا أمر ملاحظ . فالأمم التي تحفل صفحات تاريخها بالأمجاد والمآثر والمفاخر .. تُورث أَبناءها اعتدادا بالذات لا يحظى به أبناء الأمم الأخرى . ومن هنا عمدت بعض الدول الى تحسين عرض تاريخها وتفسير حوادثه تفسيرا موجها هادفاً ، حفزا لهمم مواطنيها الى صنع الأمجاد من جديد ، **فان التاريخ الجيد من أهم العناصر الفعالة في تكوين شخصية المواطن شخصية قوية دائبة على الترقي والتقدم** .

انطلق أساتذة الاستشراق في دراسة تاريخ الاسلام الى

الصفحات البيضاء المجيدة الناصعة فطووها أو تعرضوا لها بوجيز القول . وكلما اضطرتهم الظروف الى سرد شيءً من أمجاد الاسلام اخترعوا له تفسيراً مادياً سمجا للتغطية على روعته وعظمته . وانطلقوا الى الاسهاب والتفصيل في عرض الخلافات والفتن والمحن وأضفوا عليها من تفسيراتهم ما يزيد الطين بلة . وتغاضوا عمداً عن الاشارة إلى الدور الذي أداه في ظلام الفتن الطابور الخامس من زنادقة المجوس واليهود والنصارى . فقد حقد هؤلاء على الاسلام حقداً أسود ؛ بعد أن قهروا عسكريا وفكريا وسياسيا واجتماعيا ورأوا شعوبهم تدخل في دين الله أفواجا أفواجا . ولم يجد هؤلاء سبيلا للطعن في الاسلام وأمته سوى التظاهر بالايمان به ليتمكنوا من الكيد له والتخريب في الدولة الاسلامية من داخل الجسم الاسلامي .

عرض المستشرقون هذه الصفحات مع تفسيراتهم المغرضة كفتنة عثمان ووقعة الجمل .. ليوهموا القراء البسطاء أن المسلمين أمضوا تاريخهم في الفتن والتناحر الداخلي ، وعاشوا في البلايا والرزايا ، وأن الاسلام لم يغير في هذه الشعوب شيئا من أخلاقها ونزواتها الهمجية .. فاستهدفوا الاسلام طعنا فيه وكيدا له ومكرا بأبنائه . وكأنه هو المسؤول عما جرى .. ولم يشيروا الى أن مخالفات للاسلام قد وقعت فأدت الى ما أدت اليه ، لأن ذلك يمنح المسلمين المعاصرين عظات بليغة تدعوهم للتمسك بالاسلام على نهج تمسك الصحابة والأوائل به . وأن يتجنبوا الأخطاء ويفتحوا أعينهم على الجواسيس والدخلاء من الأعداء ! !

لكن الباحث النبيه الواعي لا يغيب عنه أنه يجب أن يضع تلك الفتن بجانب الصفحات البيضاء الوفيرة الكثيرة في تاريخ الاسلام وفتوحه وعدله وتحريره الانسانية وتوفير السعادة لها واخراجها من ظلام الوثنية ومن المبادئ والأفكار السقيمة التي كانت تغلفها الكنيسة بها ..!! **فان المقارنة العلمية بين صفحات المجد والسعادة والعز في الاسلام وبين صفحات الفتن تظهر ضآلة شأن هذه الفتن وضرورة أخذ العبر منها ، وتظهر فضل الاسلام على الانسانية عامة وعلى المسلمين خاصة .**

واسأل المستشرقين أليس في تاريخكم صفحات سوداء فهل تعرضونها بنفس الاسلوب الذي تعرضون به الفتن في تاريخ الاسلام !!؟

إن صفحات التاريخ الأوربي متخمة بالمخازي وبالفتن الداميات والحروب الطاحنات التي كان مدادها عامة الشعب لصالح المتألهين من حكامهم الطغاة الظالمين !! تلك المخازي العظيمة لا تجد لها نظيراً في كثرتها وشناعتها عند العرب في جاهلية ولا إسلام . وهي الطابع العام لتاريخ أوربا بأسرها ، وغيرها على شاكلتها . وإنك قلما تقع في تواريخهم على بارقة مشرقة !! خاصة في الصفحات الكالحة التي تسبق اتصالهم بالمسلمين وانتعاشهم بالتعلم منهم والاقتباس من مبادئ دينهم وحضارتهم !

٩ ـ التنفير من العودة الى الخلافة الاسلامية :

وقد غدا هذا غرضاً هاماً ، فالدراسات الاستشراقية التاريخية تنسب لهارون الرشيد وغيره من الخلفاء ألوان المجون والفسوق ..

تنقلها من كتابات غير علمية خطتها أيادي خصوم حانقين.

وكما تنسب هذه الدراسات كثيرا من المخازي المختلقة للخلافة الإسلامية في كافة عصورها. فانها تخص الخلافة العثمانية بسيل جارف من التهم .. ولكن أين الدراسة العلمية المتفحصة المعولة على الأدلة والوثائق والبراهين؟! على أن المسلم الواعي لا يعتد بأخطاء بعض الخلفاء لنسف نظام الخلافة وما فيه من بيعة ووحدة في الرئاسة تجمع كلمة الأمة وتوحد صفوفها. ويدرك كل مسلم واع أن الاستشراق والتبشير والاستعمار قد تمالؤا جميعا على هدم الخلافة العثمانية وهم اليوم أشد تعاونا على تنفير المسلمين من اللجوء إلى نظام الخلافة الاسلامية، خوفا من وحدتهم التي تقطع نياط قلوب الحاقدين من الساسة وغيرهم في الدول الكبرى وفي كثير من دول العالم.

١٠ ـ تحطيم معنويات الشخصية الاسلامية بالاساليب الدعائية النفسية، سعت أبواق الاجنبي إلى إحداث توهم جديد، وهو تفوق العنصر الغربي الآري وتدني العنصر الشرقي السامي .. حتى أطلقوا شعارهم العنصري بتكبر وغرور «الشرق شرق والغرب غرب» فزعموا أنهم أهل النبوغ والذكاء والمواهب والعلم والعبقرية والنظام والتعاون .. وأن الشرق ليس أهلا لذلك!!؟ بل زادوا على ذلك بأن بلادهم صناعية وأن بلادنا الشرقية لا تصلح إلا للزراعة .. ابتغوا أن يصير الشرق سوقا استهلاكية تمد السادة الغربيين بالمنتجات الزراعية. ليتمتعوا بها بأثمان زهيدة. وحرصوا حرصا عظيما على السيطرة في الشرق على المواد الخام والثروات

الباطنية .. وعلى استغلالها بسرعة بالغة قبل أن يصحو الشرق . وقد غضوا النظر عن استغلال نظيرها في بلادهم .. أدى ذلك إلى افتقار الشرق وضعفه واغتناء الغرب وازدياد قوته بصناعاته المدنية والعسكرية . وساعدهم على ذلك إلجاؤهم أصحاب تلك الثروات والمواد أن يودعوا فائض أثمانها وأموالهم في مصارف الغرب . فأعانهم ذلك وغيره على تطوير صناعاتهم وصناعة الأسلحة خاصة ، وازدهار تجارتهم مع الشرق ، فازدادوا قوةً على قوتهم !

وأدى تخطيطهم أن يستهلك الشرق ، بأثمان عالية جدا المنتجات الغربية « وهي نتاج مواده الخام وثرواته » ليتفاقم فيه الفقر والمرض والضعف والتخلف .. وَهْنًا على وهن ، بينما ينعم الغرب بخيرات الشرق وثرواته برفاه وبطر وأشر وتجبر على العباد ! !

وترسخ هذه الأساليب والخطط عقدة الشعور بالنقص في الشرق المقهور عسكريا ليشعر بالتدني في كل شيء شعورا يمكن الأجانب أن ينهبوا خيرات البلاد ، ويتخذوا لهم صنائع وعملاء من العباد ! !

﴿ والله غالبٌ على أمره ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون ﴾[1] .

---

(١) سورة يوسف : ٢١ .

الباب الثاني

الفصل الأول

سمات الوحي الإلهي وحقائقه

* افتقار البشرية الى وحي الله ورسالاته
* المراد بالوحي في اللغة والشرع
* معترك الأفكار في إثبات الوحي الى رسول الله
* حقائق الوحي

اذا نظرت في بدائع الكائنات وافتقارها للخالق العظيم ، ونظرت في تيسيره وتدبيره واحكامه واتقانه الخلق تبارك وتعالى . علمت أن مقتضى ألوهيته وحكمته أن لايدع العباد حيارى بين عبادة الحجارة ومظاهر الطبيعة ، بل يهديهم إلى الايمان به ، ويرسل اليهم رسولا ، ويشرّع لهم شرعا يكفل سعادتهم في دنياهم وآخرتهم . فلا يتيهوا عن مرضاة خالقهم العادل الحكيم . وقد ذكر الله تعالى من حوار فرعون مع موسى وهارون قوله : **﴿ قال فمن ربكما يا موسى ؟ قال : ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴾**[1] .

لا ريب أن كل عاقل متى آمن بالله تعالى بدلائل العقل القطعية أمكنه أن يعرف صفات الباري تبارك وتعالى . وايمانك بالله وصفاته الكمالية يهديك إلى أنه تعالى برأفته ورحمته وحكمته وعدله بين عباده لابد أن يبعث اليهم رسولا منهم يهديهم سواء السبيل ، وأنه تعالى يكافيء المحسنين ويعاقب المسيئين ، وأنه تعهد أن لا يعذب أحدا حتى ينير له سبل الرشاد . وبهذا ورد خطاب الله تعالى : **﴿ وإنْ من أمة إلا خلا فيها نذير ﴾ ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾**[2]

---

(١) سورة طه : ٤٩/٥٠ .

(٢) سورة فاطر : ٢٤ . وسورة الاسراء : ١٥ .

﴿ **رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل** ﴾[1] فالايمان بالوحي الالهي الى الأنبياء من لوازم الايمان بالله تعالى وأسمائه الحسنى وصفاته الجلى .

ألا ترى أن إرسال الله إلى قوم رسولا انقاذ لهم من الضلال بفضل الله ورأفته وحكمته ؟! وما بعث الله محمدا خاتم المرسلين ﷺ الى الناس كافة في كل زمان ومكان إلا رحمة للانسانية . كما وصفه جل شأنه : ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾[2] . وقد عرّفنا رسول الله ﷺ بخلاصة مهمته ، فقال : « انما أنا رحمة مهداة »[3] .

إذا تأملت طبائع البشر ونزعاتهم وغرائزهم وميولهم وحيدتها في كثير من المواقف عن الحق والخير أدركت أن الناس بأمس الحاجة إلى رسالة الله والى قدوة صالحة يرسله الله اليهم ، يجالسونه ويعاينون فيه الصورة التطبيقية الواقعية لدين الله تعالى ، فيرون الفضائل حية مجسدة والرذائل مطروحة مجتنبة .

إن بعثة الرسل وانزال الشرائع منّة من الله تعالى ورحمة على سبيل اللطف بالبشر والفضل عليهم . قال ابن تيمية رحمة الله عليه : « فمن أعظم نعم الله على عباده وأشرف مننه عليهم أن أرسل

---

(١) سورة النساء : ١٦٥ .

(٢) سورة الأنبياء : ١٠٧ .

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات مرسلا والحاكم مرفوعا وقال : على شرطها ، وأقره الذهبي .

اليهم رسله ، وأنزل عليهم كتبه ، وبين لهم الصراط المستقيم »[١] .

إن الايمان برسل الله يعني لا محالة الايمان بوحي الله تعالى إلى الرسل . وأن محمداً ﷺ رسول الله حقا وصدقا جاءنا على ذلك بالدلائل البينات والمعجزات القاهرات ، وخلقه العظيم أسمى من أن يجد فيه مخاصم مجالا للطعن في صدقه وأمانته فيما يبلغ عن ربه . والقرآن الذي أعجز الفصحاء والبلغاء والعلماء والحكماء والفلاسفة هو المعجزة الخالدة أبد الدهر ، وهو شاهد عظيم على أن رسالة محمد ﷺ عين اليقين من الله رب العالمين .

الوحي في اللغة والشرع

الوحي في اللغة : قال ابن منظور : اعلام في خفاء ، ولذلك صار الالهام يسمى وحيا[٢] .

---

(١) لوائح الانوار : جـ ٢ ص ٢٥٠ ومعتقد أهل السنة أن بعثة الرسل ممكنة ، جائزة على الله سبحانه وتعالى ، ومضى بعض المعتزلة الى انها واجبة على الله ؛ بناء على أصل اتخذوه في مذهبهم ، هو قاعدة التحسين والتقبيح العقليين ، وعلى ما يتفرع عنه من اعتبار الغرض ووجوب الالطاف ووجوب رعاية الاصلح ، والاصل فاسد فما تفرع عنه فاسد أيضا . فارسال الرسل ـ عندنا ـ لمعاضدة العقل وتسديده أمر جائز في حقه تعالى . وأنه وقع وحصل فهو واجب وقوعا أو سمعاً . انظر شرح المواقف لعلي بن محمد الجرجاني المتوفي سنة ٨١٦ جـ ٨ ص ٢٣٥ الطبعة الاولى سنة ١٣٢٥هـ ١٩٠٧م مطبعة السعادة بالقاهرة . وانظر لوائح الأنوار البهية وسواطع الاسرار الاثرية جـ ٢ ص ٢٤٧/٢٤٨ .

(٢) لسان العرب ـ محمد بن منظور الافريقي ـ مادة (وحي) ـ وفيه أن الوحي بمعنى الاشارة والكتابة والرسالة والالهام والكلام الخفي وكل ما ألقيته الى غيرك . يقال : وحيت الكلام اليه وأوحيت ، ووحى وحيا . وأوحى أيضا أي كتب ، والوحي المكتوب والكتاب أيضا . وقال الآلوسي : قال الامام عبدالله التيمي : الوحي أصله التفهيم ، وكل ما فُهم به شيءٌ من الالهام والاشارة والكتب فهو وحي (روح المعاني جـ ٢٧ ص ٥٢ الطبعة المنيرية) وقال الزجاج : الايحاء : الاعلام على سبيل الخفاء (التفسير الكبير ـ للرازي جـ ١١ ص ١٠٨) .

وقال الراغب الأصفهاني : أصل الوحي الاشارة السريعة . ولتضمن السرعة قيل : أمر وحي . وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض . وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب أو باشارة ببعض الجوارح ، وبالكتابة [1] .

واليه ذهب ابن الأثير في النهاية .

ونلاحظ أن الراغب وابن الأثير نبّها على اعتبار السرعة في حقيقة الوحي . وقد أغفل ذلك صاحب اللسان وصاحب تاج العروس ، لكنهما أفاضا في ذكر استعمال الوحي في السرعة خاصة .

نقول : ان الراغب وابن الأثير كانا على حق فيما ذهبا اليه . فقد أفادت اطلاقات اللغة العربية أن السرعة والخفاء من سمات الوحي ومزاياه .

الوحي في الشرع : قال ابن الأنباري : انما سمي وحيا لأن الملك أسره على الخلق وخَصّ به النبي الذي بعثه الله اليه [2] .

أقول : ومنه تعلم أن الوحي انما يكون سرا .

وقال الراغب : ويقال للكلمة الالهية التي تُلقى الى انبيائه : وحي . وذلك أضرب حسبما دل عليه قوله ﴿**وما كان لبشر أن**

---

(١) المفردات في غريب القرآن . للراغب الاصفهاني . ط . مصطفى البابي الحلبي .

(٢) لسان العرب : وفيه : قال الازهري : وكذلك الاشارة والايماء يسمى وحيا ، والكتابة تسمى وحيا . وقال الله عز وجل : ﴿**وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب**﴾ معناه : الا أن يوحي اليه وحيا (بواسطة ملك) فيعلمه بما يعلم البشر أنه أعلمه ، إما الهاما أو رؤيا ، واما أن ينزل عليه كتابا كما أنزل على موسى أو قرآنا يتلى عليه كما أنزل على سيدنا محمد ﷺ . وكل هذا اعلام (حي) وان اختلفت أسباب الاعلام فيه .

يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء﴾[1] .

وزبدة القول أن الوحي شرعا : القاء الله الكلام أو المعنى في نفس الرسول بخفاء وسرعة .

ولقد أورد القرآن الكريم في مواطن كثيرة كلمة (الوحي) أو مشتقاتها بالمعاني التي أطلقت عليها في اللغة العربية[2] كما استعملها بالمعنى الخاص بالرسل ، وهو اعلام خاص خفي سريع من الله تعالى لرسله وأنبيائه .

أقول : ومن هنا نلحظ أن معنى الوحي في الشرع أخص منه في اللغة من جهة مصدره وهو الله تعالى ومن جهة الموحى اليهم وهم الرسل .

معترك الأفكار في إثبات الوحي

دارت المعركة بين مثبتي الوحي ومنكريه حامية الوطيس في تاريخ الفكر الانساني وحاضره . وكل يأتي بغاية ما لديه من حجج ودلائل . وقد وجدت أفضل الأجوبة المسكتة والبراهين الغلابة هي ما أورده الله في كتابه المبين . **وأن أبلغ منهج في إثبات الوحي هو منهج القرآن العظيم** ، إذ لا يدانيه فكر ولا منهج في تثبيت الوحي الى

---

(١) سورة الشورى : ٥١ .

(٢) كالالهام فيما لا صلة له بالشرائع والاحكام كقوله ﴿**وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه**﴾ (سورة القصص : ٧) ﴿**وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي ..**﴾ (سورة النحل : ٦٨) .

سيد المرسلين محمد ﷺ والى اخوانه النبيين قبله . فما هو هذا المنهج ؟!

لا أعرف أحداً تطرق إلى اعطاء صورةٍ كلية عن هذا المنهج . فلابد لي أن أعول في أخذ هذه الصورة على القرآن ذاته . ولقد وجدت بعد تقصي الآيات البينات أن الذكر الحكيم قد سلك في إثبات الوحي لمحمد ﷺ مسلكين ، أقام بهما الحجة وحسم النزاع . فإما أن يكون الخصم ممن آمن برسول سابق فهو من أهل الكتاب ، واما أن يكون جاحدا جميع الرسل كالمشركين والملاحدة . ولا شك أن المستشرقين لا يخرجون عن هذين الصنفين .

اذا كان الخصم مؤمنا برسول قبل محمد ﷺ فيلزمه أن يثبت الوحي لمن آمن به من رسل . فما يقوله هناك في إثبات حادثة الوحي ، يحتج به عليه هنا . وهذا ما نواجه به اليهود والنصارى ، فانهم يؤمنون بالأنبياء ، وإن خالفوا في البعض . وقد أقام الله الحجة على اليهود في كتابه المبين . وذلك أنهم بالغوا في إنكار نزول القرآن على محمد ﷺ حتى أظهروه في صورة المستحيلات .

أما اذا كان المجادل في وحي الله تعالى من الملاحدة ، فإنه لابد من تأسيس البحث معه على الايمان بالله تعالى ، فهذا هو الأصل الأصيل في البحث . وقد عبر عن هذا بعض ملاحدة القومية الطورانية ـ من كبار أتباع كمال أتاتورك ـ إذ قال : أعطوني الايمان بالله أسلم لكم بكل ما تقولون في الرسل والرسالات [1] . لكن هذا

(١) موقف العقل والعلم والعالم ـ شيخ الاسلام مصطفى صبري جـ ٣ .

لا يمنع أن نجابه المجادل بما في ظواهر الطبيعة من براهين الايمان بالله رب العالمين ، وبما في ظواهرها من دلالات عقلية على امكان الوحي الالهي الى الرسل دون وساطة مادية مباشرة . وبهذا يسقط توهم المجادل أن الوحي من المستحيلات ، وتنطوي مسافة شاسعة كانت بينه وبين الايمان بوحي الله ورسله ورسالاته . وفي هذا الاستدلال العلمي الذي نسوقه من افحام الملحد والمشرك ـ جاحد النبوة ـ ما لا يطيق دفعه .

وفي هذه الحال يجب على الداعية ـ في تقديرنا ـ أن يقيم أولا الدليل على امكان وقوع الوحي عقلا ، ثم يثبت ـ ثانيا ـ حصول الوحي لسيدنا محمد ﷺ بذكر الحوادث الدالة عليه ، والاحوال التي كانت تعرض للرسول ابان نزول الوحي على مرأى من الصحابة رضوان الله عليهم . ويزيد بالمرحلة الثالثة براهينه فضلا وقوة في اقامة الحجة الحاسمة فيذكر المعجزات الحسية والعقلية التي أجراها الله لمحمد ﷺ .

وهذا المنهج ـ برأينا ـ كفيل بحسم مادة النزاع ، وقطع دابر الشك عند من رزق فكرا صحيحا وقلبا حيا شغوفاً بالحق ﴿ **انَّ في ذلك لَذكرى لمنْ كان له قلبٌ أو ألْقي السمعَ وهو شهيدٌ** ﴾[1] وقد سلك القرآن هذه المسالك وجلى الحقيقة فيها بالبرهان الساطع[2] .

---

(١) سورة ق : ٣٧ .

(٢) توسعت في هذا الجانب من البحث في « نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن » ص ١٦٦/١٨٤ ط ـ حلب . فليرجع الباحث اليه .

حقائق وحي الله

شهد الصحابة رضي الله عنهم امام المرسلين وهو يوحى اليه ، وحدثهم ﷺ عن بدء الوحي وأحواله . فاستبانت من خلال ذلك كله خصائص الوحي ، واستقر في افئدتهم علم اليقين بأن هذا وحي الله العظيم الى نبيه الكريم محمد ﷺ ، فانه خارج عن دائرة امكاناته ومعارفه ، بل هو مأمور خاضع لا يملك من أمر الوحي شيئا ، ولا سبيل له إلى اجتلابه ولا إلى دفعه ، ولكن للوحي الالهي سيطرة وهيمنة على النبي الكريم ، يشهد الناظر آثارها عليه اثناء نزول الوحي اليه ﴿ **وانك لَتُلقَّى القرآن من لدن حكيم عليم** ﴾[1] .

ولا سبيل للباحث الى معرفة خصائص الوحي واثباتها ربانية مصدره إلا بالنظر المتأمل المستنبط في حقائق الوحي ، فلابد لنا من سرد أهم الأحاديث التي وردت في وصف مظاهر الوجي وتحديد سماته .

* روى البخاري في أول صحيحه عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت : « أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فَلَقِ الصبح[2] . ثم حبب اليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء ، فيتحنَّثُ[3] فيه ـ وهو التعبد الليالي ذوات العدد ـ قبل أن يَنْزِعَ[4]

---

(١) سورة النمل : ٦ .

(٢) (الرؤيا الصالحة في النوم) الرؤيا الصادقة . (جاءت مثل فلق الصبح) : ظهرت مطابقتها للواقع كظهور ضياء الصبح لناظره .

(٣) (يتحنث) يتعبد . وفي الأصل يتحنث فلان : يفعل فعلا يخرج به عن الحنث وهو الاثم ـ كما في النهاية لابن الأثير .

(٤) (ينزع) : يرجع .

الى أهله ويتزود لذلك ، ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها . حتى جاءه الحقُ[1] وهو في غار حراء ، فجاءهُ المَلَكُ فقال : اقرأ .

قال : ما أنا بقارئ . قال : فأخذني فغَطَّني حتى بلغ مني الجَهْد[2] ثم أرسلني فقال : اقرأ .

قلت : ما أنا بقارئ . فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ .

فقلت : ما أنا بقارئ . فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال :

﴿ اقرأ باسمِ ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم ﴾ .

فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها .

فقال : زملوني زملوني .

فزملوه حتى ذهب عنه الرَّوْعُ[3] .

فقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد خشيتُ على نفسي[4] .

فقالت خديجة : كلا والله ما يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم وتحمل الكلّ وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق[5] .

---

(١) (جاء الحق) الامر الحق وهو مجيئ الملك بالوحي . وسمي حقا لأنه من الله تعالى .

(٢) (غطني) ضمني وعصرني . وأصل الغط حبس النفس . ومنه غطه في الماء . (حتى بلغ مني الجهد) حتى بلغ الغط مني غاية وسعي .

(٣) (زملوه) : لفوه . (الروع) : الفزع .

(٤) (لقد خشيت على نفسي) أي خشيت المرض أو الموت لشدة ما أصابني من الرعب .

(٥) (الكل) : العاجز أو الذي لا يستقل بأمره . (تكسب المعدوم) تعطي الفقير المعدم ما لا يجده عند غيرك .

فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة .

وكان امرأ تنصّر[1] في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخا كبيرا قد عمي .

فقالت له خديجة : يا ابن عم اسمع من ابن أخيك .

فقال له ورقة : يا ابن أخي ماذا ترى ؟

فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى .

فقال له ورقة : هذا الناموس[2] الذي نزّل الله على موسى . ياليتني فيها جذعا[3] ، ليتني أكون حيا اذ يخرجك قومك .

فقال رسول الله ﷺ : أوَمُخرجيَّ هم ؟

قال : نعم لم يأتِ رجلٌ قطُّ بمثل ما جئتَ به إلا عُودي ، وان يُدركني يومك أنصرك نصرا مؤزّرا[4] .

ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي[5] .

*** وروى البخاري عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن**

---

(١) (تنصر) صار نصرانيا . فان ورقة لما كره عبادة الأوثان خرج الى الشام يسأل عن الدين فاعتنق النصرانية ، وتعلم اللغة العبرية .

(٢) (هذا الناموس) وهو في الاصل صاحب السر . وأراد به ملك الوحي جبريل عليه السلام الذي يوصل الوحي سرا إلى الأنبياء .

(٣) (يا ليتني فيها جذعا) يا ليتني أعود في أيام دعوتك شابا .

(٤) (نصرا مؤزرا) نصرا قويا .

(٥) (لم ينشب) لم يلبث أو لم يتعلق ورقة بشيءٌ من الأمور حتى مات (فتر الوحي) : تأخر مدة من الزمان . والحكمة من دلك أن يذهب عن النبي ﷺ ما أصابه من الفزع ويحصل له التشوف والتلهف الى عوده .

الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ . فقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله ﷺ : (أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشدُّهُ عليَّ فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال . وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول ، قالت عائشة : (ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإنَّ جبينه ليَتفصَّد عرقا)[1] .

* وروى البخاري أيضا عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال وهو يحدث عن فترة الوحي ، فقال في حديثه (بينا أنا أمشي اذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري فاذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض . فرُعبتُ منه ، فرجعتُ فقلت زمِّلوني زمِّلوني ، فأنزل الله تعالى : **﴿ يا أيها المدثر قم فأنذر ــ إلى قوله ــ والرجز فاهجر ﴾** فحمى الوحي وتتابع)[2] .

---

(١) رواه البخاري في باب كيف كان بدء الوحي الى رسول الله ، ورواه مسلم في صحيحه ومالك في الموطأ . ومعني (صلصلة الجرس) الصلصلة في الاصل : صوت وقوع الحديد بعضه على بعضه . ثم أطلق على كل صوت له طنين . (فيفصم عني) يقلع عني وينجلي ما كان يغشاني . (يتفصد عرقا) من الفصد وهو : قطع العرق لاسالة الدم . شبه به جبينه لاظهار كثرة العرق المتقاطر منه .

(٢) صحيح البخاري : باب كيف كان بدء الوحي . والآيات النازلة هنا قوله تعالى : **﴿ يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ﴾** ومعنى المدثر : المغطى بثيابه ويراد به النبي نفسه . (قم بانذر) حذر من العذاب من لم يؤمن بك . (وربك فكبر) عظم ربك . (وثيابك فطهر) كناية عن تطهير النفس من الشوائب باجتناب النقائص . (والرجز فاهجر) الرجز : العذاب . أمره بترك كل ما يسبب العذاب من الآثام ورأسها عبادة الأوثان

وقوله : (فحمي الوحي وتتابع) أي جاء كثيرا . وفيه مطابقة لتعبيره عن تأخره بالفتور . (في حديث عائشة الأول) .

ــ انظر في مفردات الاحاديث : فتح الباري جـ ١ ص ١٥ وما بعدها ــ طبعة الخشاب وانظر النهاية في غريب الحديث والاثر ، لابن الاثير .

* روى البخاري عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ **لا تحرك به لسانك لتعجل به** ﴾ قال : كان رسول الله ﷺ **يعالج من التنزيل شدة** ، وكان مما يحرك شفتيه[1] فقال ابن عباس فأنا أحركهما لكم كما كان رسول الله يحركهما .

وقال سعيد : أنا أحركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما . فحرك شفتيه فأنزل الله تعالى : ﴿ **لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه** ﴾ قال : جمعه لك في صدرك وتقرأه ﴿ **فاذا قرأناه فاتبع قرآنه** ﴾ قال : فاستمع له وأنصت ﴿ **ثم ان علينا بيانه** ﴾ ثم أن علينا أن تقرأه . فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك اذا أتاه جبريل استمع ، فاذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما قرأه[2] .

* روى البخاري[3] أن يعلى قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما : أرني النبي ﷺ حين يُوحى اليه . قال : فبينما النبي ﷺ بالجِعرانة ومعه نفر من أصحابه جاءه رجل فقال : يا رسول الله كيف ترى في رجل أحرم بعمرة وهو متضمخ بطيب ؟ فسكت النبي ﷺ ساعة فجاءه الوحي ، فأشار عمر رضي الله عنه الى يعلى ، فجاء يعلى ، وعلى رسول الله ﷺ ثوب قد أظل به . فأدخل رأسه ، فاذا رسول الله ﷺ محمرُّ الوجه وهو يغطُّ ثم سُرِّي عنه . فقال : أين الذي سأل عن العمرة . فأُتيَ برجل ، فقال : اغسل

---

(١) يعني أنه كان يحرك شفتيه مع لسانه . وانظر سورة القيامة : ١٦/١٩ .

(٢) باب كيف كان بدء الوحي برسول الله ﷺ من صحيح البخاري .

(٣) البخاري بلفظه ، كتاب الحج باب غسل الخلوق من الثياب . ورواه مسلم ـ كتاب الحج باب ما يباح للمحرم بحج أو بعمرة ـ والنسائي ـ كتاب الحج ـ باب الخلوق للمحرم .

الطيب الذي بك ثلاثَ مرات . وانزع عنك الجُبة واصنع في عمرتك كما تصنع في حجَّتك[١] .

* روى مسلم وغيره[٢] عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم ، اذ طلع علينا رجلٌ شديدُ بياضِ الثياب شديدُ سوادِ الشعرِ ، لا يُرى عليه أثرُ السفرِ ولا يعرفُهُ منّا أحدٌ . حتى جلس الى النبي ﷺ فأسند رُكبتيهِ الى رُكبتيهِ ووضع كفَّيه على فخذيه .

وقال : يا محمد أخبرني عن الاسلام ؟

فقال رسول الله ﷺ : الاسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسولُ الله ، وتُقيم الصلاة وتُؤتي الزكاة وتصوم رمضانَ وتَحُجَّ البيت ان استطعت اليه سبيلا .

قال صدقت .

قال : فعجبنا له يسألُهُ ويصدقه !

قال : فأخبرني عن الايمان ؟

قال : أنْ تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشرِّهِ .

قال : صدقت . قال : فأخبرني عن الاحسان ؟

---

(١) قوله : (يغط) والغطيط صوت النفس المتردد من النائم أو المغمى ، وسبب ذلك شدة ثقل الوحي . (سري عنه) زال عنه ما اعتراه تدريجيا « فتح الباري جـ ٣ ص ٣٩٥/٣٩٣ ط . السلفية »

(٢) واللفظ لمسلم في كتاب الايمان ـ باب وصف جبريل للنبي ﷺ الاسلام والايمان ، وأخرجه الترمذي فيه أيضا ، وأبو داود في كتاب السنة ـ باب في القدر . وأخرجه النسائي في كتاب الايمان ـ باب نعت الاسلام .

قال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك .

قال : فأخبرني عن الساعة ؟

قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل .

قال : فأخبرني عن أماراتها ؟

قال : أن تلد الأمة ربَّتها ، وأن ترى الحفاة العُراة العالة رعِاءَ الشاءِ يتطاولون في البنيان .

قال : ثم انطلق . فلبث مليا .

ثم قال لي : يا عمرُ أتدري من السائل ؟

قلت : الله ورسوله أعلم .

قال : فانه جبريل أتاكم يُعلمُكم دينكم [1] .

---

(١) قوله (فأسند ركبتيه الى ركبتيه) أي جلس أمام الرسول وركبتاه أما ركبتيه (ووضع كفيه على فخذيه) أن الرجل جلس جلسة المتأدب المستفهم ، فوضع كفيه على فخذي نفسه كما هو مألوف في طلاب العلم .

(أخبرني عن أماراتها) عن علاماتها الدالة على قرب وقوعها .

(أن تلد الأمة ربتها) : للعلماء في المراد منه أقوال كثيرة ، أشهرها كما ذكره ابن الأثير : « هي الأمة تلد للرجل ، فيكون ابنها مولى لها ، وكذلك ابنتها ، لأنها في الحسب كأبيها . والمراد أن السبي يكثر ، والنعمة تفشو في الناس وتظهر » .

ويبدو لنا أنه انقلاب المفاهيم والقيم ، حتى تتطاول الفتاة على والدتها ، والخادمة ونحوها على سيدتها ، وهكذا ..

(وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان) فالعالة : جمع عائل ، وهم الفقراء . والرعاء : جمع راع ، وهم الرعاة . الشاء : جمع شياه . والمعنى أن أهل البادية ومن على شاكلتهم من الأجلاف والهمج ـ ويغلب عليهم الفقر عادة ـ ستبسط لهم الدنيا فيتنافسون على مراتبها ويترقون في البنيان متباهين .

(مليا) طائفة من الزمان طويلة .

« صحيح مسلم بتعليق محمد فؤاد عبد الباقي جـ ١ ص ٣٨ وجامع الأصول جـ ١ ص ٢١٢ ط . دمشق وجامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ص ٣٥ والأربعين النووية وشرحها ـ للنووي ص ١٨ ضمن مجموعة الحديث ط . الرياض » .

وهذا رسول الله ﷺ تشهده عائشة ووالداها رضي الله عنهم وقد نزل عليه الوحي في بيتها ، فاحمر جسمه ، وتحدر العرق منه كحبات اللؤلؤ .

* قالت عائشة رضي الله عنها : « فوالله ما رام رسول الله ﷺ ولا خرج أحد من أهل بيت حتى أُنزل عليه ، فأخذه ما كان يأخذه من البُرَحاء ، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجُمان من العرق ، وهو في يوم شات ، من ثِقَلِ القول الذي ينزل عليه »[1] .

واذا كان صوت الوحي قد طرق سمع رسول الله ﷺ قويا كصلصلة الجرس يشغل اذنيه ويملأ أقطار نفسه ، فانه قد طرق أسماع الصحابة حوله خافتا غير مفهوم أشبه ما يكون بدويّ النحل . فاختلف تشبيه صوته بين الفريقين نظرا لاختلافه قوة وخفتا بينهما لتركز وجهته على الرسول دون الصحابة . فوصفه كل كما سمع فلا تعارض بين الوصفين .

* عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ اذا أُنزل عليه الوحيُ يُسمعُ عند وجهه كَدويّ النحلِ ، فأُنزل عليه يوما ، فمكثنا ساعة ، ثم سُري عنه ، فقرأ : ﴿ **قد أفلح المؤمنون** ﴾ ـ الى عشر آيات منها من أولها ـ وقال : « من أقام هذه العشر آيات دخل الجنة ، ثم استقبل القبلة ، ورفع يديه وقال : **اللهم زدنا ولا تنقصنا ، وأكرمنا ولا تُهنا ، وأعطنا ولا تحرمنا .**

---

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير ـ سورة النور . ومعنى (رام) : فارق ، من (رام يريم ريما) . ولكن (رام يروم روما) معناها : طلب . (البرحاء) شدة الحمى . (الجمان) : اللؤلؤ ـ فتح الباري جـ ٨ ص ٣٣٦ .

وآثرنا ولا تُؤْثِرْ علينا ، اللهم أَرْضِنا وارْضَ عنا »[1] .

* روى البخاري عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : « أنزل الله على رسوله وفخذه على فخذي فثقلت عليّ حتى خفت أن ترض فخذي »[2] .

* عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت :

« إن كان لَيُوحى إليه وهو على ناقته فتضرب جِرانَها من ثقل ما يوحى اليه »[3] .

وروى ابن جرير الطبري باسناده عن هشام بن عروة عن أبيه : « أن النبي ﷺ كان إذا أوحي اليه وهو على ناقته ، وضعت جرانها ، فما تستطيع أن تحرك حتى يُسرّى عنه »[4] .

---

(1) أخرجه احمد والحاكم وصححه والترمذي والنسائي واللفظ للترمذي في كتاب التفسير ـ باب ومن سورة المؤمنين ، انظر فتح الباري : ١ : ١٥ وشرح المواهب للزرقاني ١ : ٢٢٩ جامع الاصول جـ ١٩ حديث ٨٨٤٧ ط . دمشق .

(2) صحيح البخاري في تفسير سورة النساء . وأنظر شرح المواهب للزرقاني : ١ : ٢٢٩ . وقد ذكر أيضا رواية الطبراني عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : (كنت أكتب الوحي لرسول الله ﷺ وكان اذا نزل عليه أخذته برحاء (حمى) شديدة ، وعرق عرقا شديدا مثل الجمان ، ثم سرى عنه . وكنت أكتب وهو يملي عليّ فما أفرغ حتى تكاد رجلي تنكسر من ثقل الوحي حتى أقول : لا أمشي على رجلي أبدا . ولما نزلت عليه سورة المائدة كادت أن ينكسر عضد ناقته من ثقل السورة) . ورواه احمد والبيهقي في الشعب .

أقول : يبدو أن هذه الرواية ضعيفة ، فقد أشار اليها الهيثمي في مجمع الزوائد جـ٧ ص ١٣ ونسبها لاحمد والطبراني ، وبين أن في سند الحديث شهر بن حوشب ، وهو ضعيف وقد وثق .

(3) رواه احمد في المسند جـ ٦ ص ١١٨ والبيهقي في الدلائل . انظر شرح المواهب ١ : ٢٢٩ وتفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٤٣٥ وفتح الباري جـ ١ ص ١٧ . الجران : باطن العنق . كذا في النهاية لابن الأثير .

(4) جامع البيان عن تأويل آي القرآن جـ ٩ ص ٨٠٢ .

الفصل الثاني

خصائص الوحي

* الوحي حدث مفاجئ
* الوحي حدث الزامي
* الوحي مستقل عن ذات النبي وإرادته
* حصوله وفق الاصطفاء الالهي
* قوة يقين النبي بالوحي
* معارف الوحي فوق مطامح الانسان وعلومه

خصائص الوحي

ومن حنايا القرآن الحكيم وأحاديث النبي الكريم أستخلصُ أهمَّ خصائص الوحي المميزة :

١ ـ الوحي حدث مفاجئ :

انه حدث تلقائي فجائي طرأ على حياة من اصطفاه الله للرسالة أو النبوة دون سابق توقع أو تطلع . فهذا محمد ﷺ في عزلته عن العالم فاجأه ملك الوحي في غار حراء وأخذ يعتصره بقوة حتى أجهده وأضناه . فعل ذلك به ثلاثا حتى ارتجف فؤاده وخاف على نفسه . فانطلق لتوه الى زوجه خديجة مرتاعا ، فلما سكن ، أخبرها الخبرَ مستغرباً وجلاً . ثم انطلق معها ليستفسر عنه ويتعرف عليه .

وبينما كان ﷺ ماشيا طرق سمعه صوت من السماء فرفع بصره اليه فشاهد جبريل جالسا على كرسي بين السماء والأرض . ففزع منه ورجع الى بيته يتزمل ثانية . **لكن ملك الوحي لم يدعه يركن الى التزمل والتدثر ، فها هو ذا يستنهضه مرة اثر أخرى ﴿ يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر... ﴾[1] . ﴿يا أيها المزمل قم الليل إلا**

---

(١) سورة المدثر أسبق نزولا من المزمل . أنظر ابن كثير جـ ٤ ص ٤٤٠ . وفتح الباري جـ٨ ص ٥١١ وروح المعاني جـ ٢٩ ص ١١٥ .

قليلا ... ﴾ هذا وغيره من صور الوحي أفاد أن الرسول لم يستشرف الوحيٍ ولم يتأهب له ، بل لقد طرق الوحي حياة الرسول طروقاً مباغتاً لم يكن في حسبانه . حتى كان يفاجئه ليلاً ونهاراً في سفرٍ أو حضرٍ راكباً أو جالساً .

٢ ـ الوحي حدث الزامي :

ونستبين ذلك من ناحيتين :

أولاهما : **الأعراض الجسدية** : ولقد ينزل عليه الوحي فتعتريه أعراض الزامية كاحمرار الوجه وتتابع الأنفاس ، مع تحول الوعي عما حوله الى ملك الوحي . وينجلي عنه الوحي في اليوم القارس البرد وان العرق ليتقاطر غزيرا من جبينه ، وان جسم رسول الله ﷺ ليثقل من شدة الوحي ، حتى تكاد فخذه ترض فخذ زيد دونها ، وحتى تثقل ناقته فتبرك على الأرض . وتزخر أذناه بأصوات حادة كصلصلة الجرس ، يجد الصحابة لها دويا كدوي النحل .

وواضح لكل ذي لب أن هذه الأعراض الزامية مفاجئة فليس في طوق أحد من البشر افتعالها ، وأن مسببها ـ بلا مراء ـ ذات أخرى تغاير الذات المحمدية .

ويزيد القضية جلاء أن هذه الأعراض غير الارادية ما كانت تعتري رسول الله قط إلا في الفترة الوجيزة التي يتلقىٰ فيها القرآن . فاقتران هذه الأعراض العضوية بهذا الحدث الوحي برهان جلي على براءة ظاهرة الوحي من شوائب الذات الانسانية الصحيحة أو العليلة .

ثانيتهما : الأحوال النفسية : لقد انتاب الخوف رسول الله ﷺ من ملك الوحي في جولاته الأولى حتى خشي على نفسه الهلاك . وكان الأمر مبهما بالنسبة اليه حتى راح يستفسر عنه . ثم عرض له فأرعبه حتى لاذ منه بالفرار . والتجأ الى التدثر والتزمل ليسكن فؤاده ويدفع عن نفسه مشاهدة الملك ووميض الوحي فلم يُجده ذلك شيئا . فاذا بلغ الوحيُ أشده وقرع صليله مسامع الرسول اتجه وعيه كلية الى ملك الوحي حتى يقضي مقالته .

فمحمد ﷺ أراد أن يتملص طواعية من ملك الوحي ، لكن سلطان وحي الله لم يترك له مناصاً من الاذعان والتلقي . إن مقاومته تلك [1] تدل على التعارض بين وجهته التي اتخذها بدافع من سجيته الشخصية وبين حتمية النبوة التي طوقت ارادته وهيمنت على ذاته . وفي هذه القرائن دلائل قوية للنظرة الموضوعية في نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

٣ ـ الوحي مستقل عن ذات النبي وارادته :

يظهر لك من الخصيصتين السابقتين أن الوحي خارج عن ذات رسول الله ﷺ ، فهو تلقائي فجائي الزامي . **والأعراض الجسدية والأحوال النفسية تفيد استقلاله عن ارادة النبي ﷺ وعجزه عن دفعه عن نفسه . وتفيد القرائن أيضا عجزه عن استحضاره ، فان الوحي قد انقطع بعد أن جاءه الملك في غار حراء أول مرة** . فلما

---

(١) وقد نسب الاستاذ الكبير مالك بن نبي هذه المقاومة الى أنبياء آخرين أيضا . انظر الظاهرة القرآنية ص ٩٦/٩٧ ـ طبعة ثانية ـ دار العروبة بالقاهرة .

عرف النبي جلية الأمر أقضّ مضجعه فتورُ الوحي ، فقد خاف أن يكون حُرم نعمة النبوة . فلما شاهد الملك على كرسي بين السماء والأرض فزع إلى أهله يتدثر ويتزمل .. وفي فترة الوحي هذه حكم الهية جليلة ، منها : أنه ﷺ لما فجأه ملك الوحي أول مرة في الغار هاله لقاؤه ونفر منه طبعه البشري لمخالفته المألوف الانساني . ولم يتمكن بالتالي من التأمل في تلك الحال ، فجاءت فترة الوحي تعطي رسول الله فسحة لانعام النظر واطمئنانا الى تلقي الوحي وأُلْفةً للملك عليه السلام ، فيذهب عنه الرَّوعُ ويحصل له التشوفُ إلى عودة الوحي . فالله تبارك وتعالى يعدّ الرسول ويقويه ويحوطه بعنايته الخاصة ليتحمل الوحي لكنه لا يسلخه عن طباعه البشرية .

ومن الحكم الالهية أيضاً : أن هذه الفترة قد حملت الرسول على التعجب والتساؤل والبحث ، وانتشر الخبر بين طائفة يعز عندها محمد بن عبدالله ، فخلّف انقطاع الوحي يقينا بأن هذه الظاهرة خارجة عن ذات النبي ، فصار مع من حوله متثبتين من إلهية ظاهرة الوحي[1] .

وقد استبطأ رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام فحثه على الاكثار من زيارته ، فنزل الجواب آية من القرآن تبين أنه مأمور من الله تعالى وأن الله لا ينسى رسوله .

روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول

---

(١) راجع حديث البخاري عن بدء الوحي في أول صحيحه وفي كتاب التعبير منه . وأما مدة فترة الوحي فقيل كانت سنتين ونصف وقيل ثلاث سنين وقيل أياما وقد رجحه ابن كثير . انظر فتح الباري جـ ١ ص ٢١ وجـ ١٢ ص ٢٩٢/٢٩١ .

الله ﷺ لجبريل : « ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا ، فنزلت الآية : ﴿ وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا ﴾[(١)] .

وهناك آثار أخرى تفيد أن جبريل قد احتبس عن رسول الله ﷺ . ذكر بعضها ابن كثير[(٢)] ، وأنه ـ كما روى البخاري ـ طلب الوحي في بعض المسائل الملحة الهامة فمكث شهراً لا يأتيه فيها وحي[(٣)] ، وروى محمد بن اسحاق أن قريشا بعثت النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط الى أحبار يهود بالمدينة ليسألاهم عن محمد عليه الصلاة والسلام باعتبارهم أصحاب كتاب . فقالت لهما أحبار اليهود : سلوه عن ثلاث نأمركم بهن ، فان أخبركم بهن فهو نبي مرسل وإنْ لمْ يفعل فالرجل متقول فَرَوْا فيه رأيكم . سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ، ما كان أمرهم ؟ فانه قد كان لهم حديث عجيب ، وسلوه عن رجل طوّاف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، ما كان نبؤه ؟ وسلوه عن الروح ما هي ؟ فان أخبركم بذلك فاتبعوه فانه نبي ، وان لم يفعل فهو رجل متقول ، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم . فجاؤا رسول الله ﷺ .. فقال لهم : « أخبركم بما سألتم عنه غدا » ولم يستثن ، فانصرفوا عنه . فمكث رسول الله ﷺ ـ فيما يذكرون ـ خمس عشرة ليلة لا يحدث الله اليه في ذلك وحيا ولا يأتيه جبريل ، حتى أرجف أهل مكة ،

---

(١) سورة مريم : ٦٤ ـ والحديث في كتاب التفسير من صحيح البخاري .
(٢) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ١٣٠ .
(٣) صحيح البخاري ـ كتاب التفسير ـ سورة النور .

وقالوا : وعدنا محمد غدا ، واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا منها لا يخبرنا بشيءٍ مما سألناه عنه ، وحتى أحزن رسولَ الله ﷺ مكث الوحي عنه . وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة . ثم جاءه جبريل من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف ، فيها معاتبته اياه على حزنه عليهم وخبر ما سألوه من أمر الفتية والرجل الطواف والروح[1] .

ولقد كان رسول الله ﷺ يحرك شفتيه غرزيا أثناء تلقي الوحي حرصا على الدقة في استحفاظ القرآن ، فأتاه الأمر بالاستسلام الكامل للوحي قلبا وفكرا وجارحة **﴿ لا تُحركْ به لسانَكَ لِتَعجلَ به إنَّ علينا جمعَهْ وقُرآنَهُ ﴾**[2] ، **﴿ ولا تعجلْ بالقرآن من قبلِ أنْ يُقضى اليك وحيُهُ وقل ربِّ زدني علما ﴾**[3] .

---

(١) وروى البخاري عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : بينا أنا مع النبي ﷺ في حرث وهو متكئ على عسيب (غصن نخيل) إذ مر اليهود فقال بعضهم لبعض : سلوه عن الروح ، فقال : ما رابكم اليه ؟ وقال بعضهم : لا يستقبلكم بشيءٍ تكرهونه ! فقالوا : سلوه ، فسألوه عن الروح ، فأمسك النبي ﷺ فلم يرد عليهم شيئا ، فعلمت أنه يوحى اليه ، فقمت مقامي ، فلما نزل الوحي قال : **﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾** . (الاسراء : ٨٥) ، ويمكن التوفيق بين الروايتين بأنه قد تعدد النزول والنازل واحد ، وأن يحمل سكوت النبي ﷺ في المرة الثانية بأنه قد توقع مزيدا من البيان عن الروح . وعلى كل فان فترة الوحي ههنا خمسة عشر يوما عن الاجابة عن السؤالين الأولين لم تزل قائمة دون معارض . وبيت القصيد هنا الاستشهاد على خروج الوحي عن ذات وارادة محمد ﷺ ، وهو موفور فيما ذكرنا وفي آثار أخرى لم نذكرها عزوفا عن الاطالة ـ انظر صحيح البخاري ـ كتاب التفسير ـ سورة الأسراء ـ وسيرة ابن هشام جـ ١ ص ٣٢٢/٣٢٠ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ـ وفتح الباري جـ ٨ ص ٢٧٩ .

(٢) سورة القيامة : ١٦ .

(٣) سورة طه : ١١٤ .

وهكذا يجد الباحث أن الوحي كان ينقطع عن رسول الله ﷺ على الرغم من شدة طلبه وحرارة لهفته اليه ، وانه فجائي الزامي يأمره بالتسليم التام . ولهذا دلالة بليغة على أن حدوث الوحي مستقل عن تدخل ذات النبي وارادته ، وأنه لا سبيل له إلى دفعه أو استحضاره . وهذا مما يقوي اليقين بصدق صاحبه والاطمئنان الى ربانية مصدره .

٤ ـ حصول الوحي وفق الاصطفاء الإلهي :

اشرأبت أعناق المشركين الى مقام النبوة بعد أن سمعوا آيات الله الباهرات ، ورأوا ما أجراه على يد محمد ﷺ من معجزات قاهرات . تملّك الحسد قلوبهم ، كيف تكون النبوة خاصة بمحمد وفيهم من الزعماء من تعظمهم قبائل العرب !؟

اندفع أكابر مجرمي مكة يطالبون أن ينزل الله عليهم الوحي كما أنزله على المرسلين ، فكشفوا عن عنادهم واستكبارهم عن الحق المبين . قال تعالى : ﴿ **وإذا جاءتهم آيةٌ قالوا لنْ نؤمنَ حتى نُؤْتَىٰ مثلَ ما أُوتيَ رُسلُ اللهِ . اللهُ أعلمُ حيثُ يجعلُ رسالَتهُ . سيصيبُ الذينَ أجرموا صغارٌ عندَ اللهِ وعذابٌ شديدٌ بما كانوا يمكرون** ﴾[١] بل بلغ بالقوم الحمق واللجاج بالباطل أن ابتغى كل منهم حصول الوحي له . كما أخبر الله عنهم ﴿ **بل يريدُ كلُ امرئٍ منهم أن يُؤْتَىٰ صُحفاً مُنَشَّرةً** ﴾[٢] فكبح الله جماح غرورهم ولجاجهم ، اذ أشار

---

(١) سورة الأنعام : ١٢٤ .
(٢) سورة المدثر : ٥٢ .

إلى عظم أمر النبوة وأنها تكون لصاحب الأهلية واللياقة للتلقي عن الله جل جلاله . فلا قيمة للاعتبارات الاجتماعية والمالية والسياسية البشرية .. وانما العبرة كل العبرة لنبل الخلق وشرف النفس وصفاء السريرة وطيب الطوية .. وهذا لا يعلمه علم اليقين إلا الله رب العالمين ، فهو يصطفي من يشاء ﴿ **اللهُ أعلمُ حيثُ يجعلُ رسالَتَهُ** ﴾ والنبوة رحمة الهية للناس جميعا . فلما قضت حكمة الله ظهورها في زمان ما ، شرّف سبحانه بها حسب مشيئته وحكمته من كان أهلاً لها ﴿ **يختصُ برحمَتهُ مَنْ يشاءُ واللهُ ذو الفضلِ العظيم** ﴾[1] .

أما الذين اقترفوا بتجبرهم وتكبرهم جريمة الاعراض عن رسالة الله ، ودفعهم الغل والحسد الى تنفير الناس من رسالة الله ، فسلكوا ذلك الاسلوب من المكر والخداع والمراوغة ، فانهم لهذه الأوصاف الخسيسة ليسوا أهلا للنبوة ، ولكنهم جديرون أن يجازوا على تجبرهم وتطاولهم وتعاليمهم بالضد ، بالذل والهوان والتحقير ، ويعاقبوا على مكرهم وكفرهم بالعذاب الأليم ﴿ **سيُصيبُ الذين أَجْرموا صَغارٌ عندَ اللهِ وعذابٌ شديدٌ بما كانوا يمكرون** ﴾[2] .

وتقلب مجرمو مكة بين أنواع الكفر ، ومن ذلك زعمهم أن أمر الوحي والنبوة انما يليق برجل كثير المال عظيم الجاه من مكة أو الطائف . وروي أنهم قصدوا الوليد بن المغيرة من مكة وعروة بن مسعود الثقفي من الطائف ، وروي أن الوليد بن المغيرة كان يقول :

---

(١) سورة آل عمران : ٧٤ .

(٢) مفاتيح الغيب جـ ١٣ ص ١٧٧/١٧٥ . والكشاف جـ ٢ ص ٥٠ وتفسير ابن كثير جـ ٢ ص ١٧٣/١٧٢ وروح المعاني جـ ٨ ص ٢٠/١٧ .

لو كان ما يقول محمد حقاً لنزل عليّ أو على ابي مسعود ، يعني عروة الثقفي . فكشف الله زيف زعمهم بقوله :

﴿ وقالوا لولا نُزِّلَ هذا القرآنُ على رجلٍ من القريتين عظيمٌ . أَهُمْ يَقْسِمونَ رحمةَ ربِّكَ !؟ نحنُ قسمنا بينهم معيشتَهم في الحياةِ الدنيا ورَفعنا بعضَهم فوقَ بعض درجاتٍ لِيتخذَ بعضُهم بعضاً سُخْرِياً ورحمةُ ربِّكَ خيرٌ مما يجمعون ﴾ [1] .

لقد ابتغوا أي زعيم كان من مكة أو الطائف كما يفيد ظاهر النص . وتعللوا بهذا العذر مراوغة منهم لدفع حجج النبوة القاطعة التي قامت عليهم . وجهلوا أن رتبة النبوة إنما يمنحها الله أزكى الخلق قلباً ونفساً وأشرفهم بيتاً وأصلا ، والعظيم عنده تعالى هو عظيم النفس بالترفع عن الرذائل الأرضية والزخارف الدنيوية وبالتحلي بكمالات الفضائل القدسية . وأثار الله النكير على جهلهم والعجب الشديد من تحكمهم بالوحي بالقرآن العظيم لمن يريدون باستفهام انكاري قوي **﴿ أَهُمْ يقسمونَ رحمةَ ربِّكَ !!؟ ﴾** وقد أبطل الله شبهتهم فذكّرهم أنه تعالى قد فاوت بمشيئته وحكمته بين خلقه فيما أعطاهم من منافع الدنيا ومناصبها وأرزاقها ، وكذا في العقول والمواهب والامكانات حتى صاروا يستعمل بعضهم بعضا في مصالحهم لقاء أجور ومنافع فيتعايشون ويترافدون ، فلم يقدرْ أحد من الخلائق على تبديل هذه الطريقة . ولا ريب أن النبوة وما يتعلق بها من هداية وايمان وسعادة في الدارين أسمى من منافع الدنيا

---

(١) سورة الزخرف ٣١/٣٠ . وأنظر تفسير ابن كثير ج ٧ ص ٢١٣/٢١٢ ط الشعب .

وزخرفها ﴿ ورحمةُ ربِّكَ خيرٌ مما يجمعون ﴾ فالدنيا هينة على الله . وقد جعل لمعيشتها طريقا تعجز الخلائق عن تغييرها . وأمر الوحي والنبوة والرسالة عظيم عنده تبارك وتعالى ، إذ يجلي به للانسانية الحقائق الالهية ويهديهم الى الشرائع الربانية . فالوحي أجدر بأن يختار الله له داعيا من خيرة الأقوام ﴿ اللهُ يصطفي من الملائكةِ رسلاً ومن الناس ، إنَّ اللهَ سميعٌ بصيرٌ ﴾[1] ، فكيف يجعل لأحد من خلقه أثرا في توجيه الوحي أو التحكم فيه ! ! ؟ ؟

﴿ يُنزِّلُ الملائكةَ بالروحِ من أمرِهِ على مَنْ يشاءُ من عبادِهِ أنْ أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون ﴾[2] .

ومن أكرمه الله بالجاه وسعة الرزق وغمره بألوان بره وجب عليه أن يكون أكثر انصياعاً لحكم الله واهتداءً بهدي رُسلِ اللهِ وأبعدَ عن التحكم والعناد والعصيان .

تلكم آيات بينات ، أكدت أن الوحي أمر الهي محض ، لا أثر لسعي المرء في كسبه أو دفعه . وبالتالي فان النبوة منحة الهية الزامية غير كسبية ، فلا ينالها الانسان بالجهد الفكري أو الترقي الروحي والأخلاقي . ولا عبرة في حصولها للقيم الدنيوية والاعتبارات المادية ، فان الله جلت عظمته قد اختص بالنبوة من شاء وفي الوقت الذي شاء حسب مشيئته وحكمته وعلمه ورحمته ﴿ واللهُ يختصُّ

---

(١) سورة الحج : ٧٥ وأنظر روح المعاني جـ ١٧ ص ١٨٧/١٨٨ .

(٢) سورة النحل : ٢ . وقوله تعالى (بالروح) : بالوحي (على من يشاء من عباده) : على الذين اصطفاهم الله لتلقي الوحي وهم الأنبياء والرسل « انظر للتوسع تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٤٧٤ ط . الشعب » .

برحمتِهِ مَنْ يشاءُ واللهُ ذو الفضلِ العظيمِ ﴾[1] .

٥ ـ قوة يقين النبي بالوحي :

يجب أن نضيف إلى معارفنا عن الوحي رأي الذات المحمدية نفسها فيه . ولابد لنا في سبيل ذلك من عودة الذاكرة إلى أوصاف هذه الذات . فانها أخلاقية رفيعة ، تنعم بقدر عظيم من الفطانة ورجاحة العقل ، ذات منزهة عن الصغائر والسفاسف ، لا ترقى اليها الظنون وقد سبق الحديث عنها . ثم لننظر علام استقر رأي هذه الذات ..؟؟ وهل تمت قناعتها اعتباطا أم باستخدام كامل الطاقة الفكرية ..؟؟

انطلق فكر محمد ﷺ في دراسة بادرة الوحي الى غايتها تدريجيا ، فروى بذلك نزوع عقله الراجح ، ولبّى رغبته الملحة في الوصول الى اليقين في هذه الظاهرة . لقد جاءه الملك في غار حراء فجأة يأمره بفعل ما لا يقدر عليه (اقرأ) ثم هو يغطّه ويرسله ! ! أمر فجائي الزاميّ خارج عن ذاته ، بعيد كل البعد عن سوانح فكره . راح بحال مضطربة فناجى خديجة بالذي جرى ، وعبر عن عمق تأثره بقوله « لقد خشيتُ على نفسي ؟ » أصدر قوله هذا بداهة ، فجاء اقرارا عفوياً دالاً على حقيقة أمره . حدث عجيب لم يعرفه ولم تعرفه خديجة أثار في نفسه التساؤل . فانطلق معها الى ورقة .. ثم فتر الوحي .. ويلوح له الملك على كرسي بين السماء

---

(١) سورة البقرة : ١٠٥ . وأنظر مفاتيح الغيب للرازي جـ ٢٨ ص ٢٠٩/٢١٠ وروح المعاني جـ ٢٥ ص ٧٢ ـ وتفسير ابن كثير جـ ٤ ص ١٢٦/١٢٧ .

والأرض .. حدث لم يخطر من قبل بباله ! ! يفزع الى التدثر والتزمل بعداً عنه فيوافيه على الرغم من ارادته .. أدّى كل ذلك إلى تنشئة يقينه بالوحي ونموه وتعاظمه . **وكانتْ كلُّ حالةٍ من أحوالِ المَلكِ شاهداً جديداً على حقيقةِ الوحيِ واستقلاله عن ذاتِهِ . وشاهداً على صدوره عن الذاتِ الالهية العلية . لقد استقر به مطاف التعجبُ والاستفسارُ إلى هذه القناعةِ الذاتيةِ القاطعة والمعرفة اليقينية ، وتتوالى عليها الأيامُ وأحداثُ الوحي لما تزيدها إلا قوةً ورسوخاً .**

٦ ـ معارف الوحي فوق مطامح الذات الانسانية وإمكانها :

في بيئة الجهالة القاتمة بعث الله محمداً عليه الصلاة والسلام . فجاء قومه بعقيدة وأحكام تنافي ما أقاموا عليه من وثنية وتقاليد عفنة نتنة . وقاوم عقائد القوم بحدة وصلابة حتى أزعجهم وأقلقهم . هذا نهج لا ينصرف اليه ذهن مترعم ، وانما يجيءُ الوحي به الى النبي ويأمره بالتزامه ، على الرغم مما يلقى من عنت القوم . عرف ورقة بن نوفل هذه الحقيقة قبل وقوعها فأعلم بها محمداً عليه الصلاة والسلام بقوله : « .. **إذْ يخرجك قومك** ، **فقال : أَوَمُخْرِجيَّ هم ! ! قال : نعم ! لم يأتِ رجلٌ قطُ بمثل ما جئتَ به إلا عُوديَ** .. » وها هم أولاء زعماء الشرك قد مشوا إلى أبي طالب عم رسول الله فقالوا : « يا أبا طالب إنَّ ابن أخيك قد سبّ آلهتنا . وعابَ ديننا ، وسَفَّهَ أحلامنا ، وضلّل آباءنا ، فإما أنْ تكفه عنا وإما أن تُخلي بيننا وبينه » وإذ لم يكف عن دعوته عادوا إلى أبي طالب يتذمرون ثانية حتى قالوا : « .. وإنّا واللهِ لا نصبر على هذا

من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك حتى يهلك أحد الفريقين .. »[1] .

فالوحيُ يُلقي إلى النبي عقيدةً متميزةً لِيناهضَ بها العقيدةَ الشعبيةَ السائدةَ الراسخةَ ، ويُغير القيمَ والمفاهيمَ ويَقلبَ الأوضاعَ . وهذا أمرٌ لا تستحسنه الذاتُ الانسانيةُ ولا تسعى اليه إنْ تعلقت بزعامةٍ أو حرصتْ على جاهٍ .

قال الاستاذ مالك بن نبي : « ويتميز النبي الموحى اليه عن منافسه المحترف ـ المزَوِّر ـ بمقاومته العنيفة ضد الألوهية القومية التي صارت لُبَّ العقيدة الشعبية . فجميع الاتجاهات الخُلُقية للنبي الموحى اليه قائمة على أساس الفكرة المتسلطة الملازمة : فكرة اله واحد عام ، يريد النبي أن يُثبت فرائضه الخاصة في شعائر قومه »[2] .

تنزل البيان القرآني في مكة المكرمة رائعا جليلا قويا في حرب العقيدة الوثنية الشائعة في أرجاء الجزيرة العربية . ودحض تحريف أهل الكتاب بنسبتهم الولد الى الله ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . وجَلّت الاياتُ وحدانية الله وصفاته وأثبتت الوحي الى محمد رسول الله ﷺ وخضوعه لأمر الله . فجاءت بياناً ربانياً سما على معهود الناس ومعتقداتهم في ذلك العصر ، فتأمل هذا النجم الرباني الزاهر من سورة الأنعام المكية :

﴿ وجعلوا للهِ شركاءَ الجِنَّ وخَلَقهم وخَرَقوا لهُ بنينَ وبنات بغير

---

(١) سيرة ابن هشام جـ ١ ص ٢٧٧ ٢٧٨ .

(٢) الظاهرة القرآنية ص ٩٧ .

علم سبحانه وتعالى عما يصفون * بديع السموات والأرض أنى يكونُ له ولدٌ ولمْ تكنْ له صاحبة وخَلَقَ كلَّ شيءٍ وهو بكلِّ شيءٍ عليم ذلكمُ اللهُ ربُّكم لا إلهَ إلا هوَ خالقُ كلِّ شيءٍ فاعبدوه وهو على كل شيءٍ وكيل * لا تُدْركه الأبصارُ وهو يدركُ الأبصار وهو اللطيفُ الخبيرُ * قد جاءكم بصائرُ من ربكم فمَنْ أبصرَ فلِنفسهِ ومن عَميَ فعليها وما أنا عليكم بحفيظٍ * وكذلك نُصَرِّفَ الآياتِ وليقولوا دَرَستَ ولِنبيِّنه لقومٍ يعلمون * اتبعْ ما أُحيَ اليكَ من ربك لا إله إلا هو وأعرضْ عن المشركين * ولو شاءَ اللهُ ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظاً وما أنت عليهم بوكيل﴾[1] .

وحمي الوحي وتتابع نزوله بالقرآن ، فتزاحمت في وعي الرسول الأمين حقائق الهية ودينية وتاريخية وكونية واجتماعية لم يخط منها قبل شيئا في لوحة ادراكه وذاكرته . فكانت خارجة عن اطار ذاته بل عن معلومات عصره أيضاً . اشتمل القرآن على عقيدة الوحدانية الصحيحة ودلائلها ، وعلى أركان العقيدة الاسلامية العظيمة ، ثم على أحكام الشريعة الغراء ، وعلى حقائق من التاريخ ممحصة ، تصحح ما ورد في الكتب السماوية الأخرى من زيف وتشويه ، وعلى أخبار غيبية مستقبلة صدقتها وقائع الدهر ، وعلى وعود أنجزها الله لعباده المسلمين .. وغير ذلك من أوجه اعجاز القرآن الكريم[2] . وكل ذلك أفكار منتظمة في أسلوب منطقي يسهل استيعابه . وان دراسة هذه الأفكار وصلة بعضها ببعض ،

---

(١) سورة الأنعام : ١٠٠/١٠٧ .

(١) أنظر أوجه اعجاز القرآن في كتابنا : « بينات المعجزة الخالدة » .

ما تقدم في النزول منها وما تأخر ، لتبرهن على خروجها عن نطاق فعالية الذات المحمدية وعبقريتها . **وان هذه المعلومات والأفكار والأحكام خارجة أيضا عن حدود الفكر الانساني عامة في العصر المحمدي ، بل يستحيل أن ينشئها أي فكر انساني على كر الدهور ومر العصور . ويكشف ذلك ، بدون أدنى ريب ، عن صدورها عن قدرة الهية خلاقة منظِّمة**[1] .

أخبار الغيب في القرآن والسنة :

تجد في القرآن الكريم والسنة من الغيب الماضي أخبارا عن تاريخ الخلق وتاريخ الرسل ومواقفهم . وعن أناس آخرين من أهل التقوى والصلاح مثل أهل الكهف ، وعن آخرين من أهل الطغيان كفرعون وهامان وقارون وأصحاب الأخدود .

وتجد من الغيب الحاضر أخبارا عن المنافقين ، تكشفهم وتميزهم .. كما تُعرّفك الآياتُ بأوصاف الملائكة المكرمين وأحوال أهل البرزخ .. وقد يرد ذلك الخبر الغيبي بقرآن أو سنة .

ومن أخبار الغيب الحاضر التي أوحى الله بها الى رسوله ما كان في فتح مكة من مناجاة بين الأنصار ، زعم فيها بعضهم لبعض سراً أن الرسول ﷺ ـ وقد دانت له بلده مكة واستسلم له قومه ـ سيقيم في وطنه وقومه ويترك المدينة . قالوا ذلك حرصاً عليه وحسرة لفراقه . فأوحى الله إليه وهو على الصفا وبدت عليه مظاهر الوحي

---

(١) قارن بالظاهرة القرآنية ص ٢١٣ .

فشهدها الصحابة . واليك طرفا من حديث الامام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه :

« فجاء أبو سفيان فقال : يا رسول الله ! أُبيحت خضراءُ قريش[1] . لا قريش بعد اليوم . ثم قال[2] : « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن » فقالت الانصار ، بعضهم لبعض : أمّا الرجل فأدركته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته[3] . قال أبو هريرة : وجاءَ الوحيُ ، وكان إذا جاء الوحي لا يخفى علينا . فاذا جاء فليس أحد يرفع طَرْفَهُ[4] الى رسول الله ﷺ حتى ينقضي الوحي . فلما انقضى ْاوحي قال رسول الله ﷺ : « يا معشر الأنصار » ! قالوا لبيك يا رسول الله ! قال : « قلتم : أما الرجل فأدركته رغبة في قريته » قالوا : قد كان ذاك . قال : « كلا اني عبدُ الله ورسولهُ . هاجرت الى الله واليكم . والمحيا محياكم والممات مماتكم » فأقبلوا اليه يبكون ويقولون : والله ما قلنا الذي قلنا الا الضنَّ بالله وبرسوله . فقال رسول الله ﷺ : « إن الله ورسوله يُصدقانكم ويعذرانكم »[5] .

لقد كثرت الأخبار عن غيب المستقبل في القرآن والسنة ، وكشفت العصور المتتابعة عن تحققها جميعا كما أخبر رب العالمين

---

(١) (أبيحت خضراء قريش) : استؤصلت جماعة قريش بالقتل وأفنيت .

(٢) (ثم قال) يعني رسول الله ﷺ .

(٣) ظنوا ذلك لأنه أمرهم بالكف عن دماء قريش .

(٤) (يرفع طرفه الى رسول الله) : يرفع بصره اليه .

(٥) رواه الامام مسلم في صحيحه ـ كتاب الجهاد والسير ـ باب فتح مكة ـ حديث ١٧٨٠ جـ ٣ ص ١٤٠٦ تحقيق فؤاد عبد الباقي . ورواه ابو داود في سننه ـ كتاب الخراج والامارة ـ باب ما جاء في خبر مكة . وأنظر جامع الاصول جـ ٨ ص ٣٦٧ ٣٦٩ وعيون الاثر جـ ٢ ص ١٧٣/١٧٥ .

ورسولهُ الصادق الأمين ﷺ ، من ذلك الاخبار عن انتصار المسلمين وعزتهم مع قلتهم وضعف امكاناتهم وعلى الرغم من كثرة وقوة عدوهم .. والاخبار عن انتشار الاسلام حتى يبلغ مشارق الأرض ومغاربها بِعِزِّ عزيزٍ أوْ بِذُلِ ذليل ، والاخبار عن عجز البشر الأبدي عن معارضة القرآن ، والاخبار عن تغلب الروم على الفرس بعد أن دحرهم الفرس في هزيمة ساحقة ، والاخبار عن دخول المسلمين مكة المكرمة مهاجرين وأنصاراً . إلى اخبار كثيرة[1] .

كما وعد الله بحفظ كتابه المبين ونصر رسوله الأمين وأصحابه الغر الميامين واذلال من أخرجوهم من وطنهم .. الى وعودٍ كثيرة مطلقة . ووعود أخرى كثيرة مقيدة بشروط . لقد جاءت أحداثُ العصور بوقوع ما أنبأ به رب العالمين وأخبر ، وبانجاز ما وعد الله به وتعهد . فقد صدق اللهُ وعدَه ، وأعزَّ جندَهُ ونشر دينه وخذل أعداءه . ﴿ ومَنْ أصدقُ منْ الله حديثا ﴾[2] .

لقد طرأت معارف الوحي على رسول الله ﷺ ، اذ لم تشغل فكر رسول الله ﷺ من قبل في قليل أو كثير . وجاءت متجاوزة نطاق أبحاث الذات الانسانية فصار مستحيلا اعتبارها من المعارف الشخصية في شيْ . ووجب التسليم بأنها معارف الهية تلقائية مطلقة لمواضيع لا يتوصل الفكر وحده الى شيْ حقيقي فيها . فجعلت بذلك ثقة النبي بها مطلقة ويقينه بربانيتها كاملا . وقذفتْ في أفئدةِ العقلاءِ حوله يقيناً قاطعاً بصحةِ الدعوة والهية الرسالة .

---

(١) انظر كتابنا « بينات المعجزة الخالدة ص ٣٢١ ـ ٣٥٨ »

(٢) سورة النساء ٨٧ وانظر المصدر السابق ص ٣٥٩ ـ ٣٦٦ .

قال الله تعالى : ﴿ وأنزلَ اللهُ عليكَ الكتابَ والحكمةَ وعلّمَكَ ما لمْ تكنْ تعلمُ ، وكان فضلُ اللهِ عليكَ عظيما ﴾ [1] ﴿ قل نَزَّلهُ روحُ القُدس من ربك بالحقِّ لِيثبتَ الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ﴾ [2]

---

(١) سورة النساء : ١١٣ .

(٢) سورة النحل : ١٠٢ .

الفصل الثالث
نقض مزاعم المستشرقين في الوحي

* يقين ورقة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم .
* رحلتان الى الشام سريعتان للتجارة .
* قصص الأنبياء وحي الهى خالص .
* جبريل ملك الوحي بالقرآن إلى رسول الله .
* هيمنة الوحي على رسول الله .



يقين ورقة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم

دأب المستشرقون من عهد بعيد على اتهام سيدنا رسول الله ﷺ بالأخذ عن أشخاص من أهل زمانه . فكان من ذلك زعمهم أنه تلقى عن ورقة بن نوفل . ذهب الى ذلك قديما درمنغام وغيره . وذهب اليه حديثا البرفسور (مونتكمري واط) فقال في أثناء حديثه عن زواج النبي من خديجة : «كما أن خديجة كانت ابنة عم رجل يدعى ورقة بن نوفل بن أسد ، وهو رجل متدين اعتنق أخيرا المسيحية . غالبا وبالتأكيد فان خديجة قد وقعت تحت تأثيره . ويمكن أن يكون محمد قد أخذ شيئا من حماسة فكرته »[1] . وقال : « **ويبدو** ورقة من بين الذين اتصل بهم محمد لسبب معرفته بكتب المسيحية المقدسة . **ولا شك** أن المقطع القرآني حين ردده محمد يجب أن يكون قد ذكره بما هو مدين به لورقة .

ومن المغري التفكير بأن هذا كان نتيجة لملاحظة ورقة بصدد الناموس ، ولكن هذا يتطلب تنزلات وحي سابقة على مقطع « اقرأ » ليغذي تلك الملاحظة .

---

(١) Mohammad At Mecca, 39

ولهذا فمن الأسهل « الأيسر » الافتراض بأن محمداً كان قد عقد صلات متكررة مع ورقة منذ وقت مبكر وتعلم أشياء كثيرة . وقد تأثرت التعاليم الاسلامية اللاحقة كثيرا بأفكار ورقة . وهذا ما يعود بنا الى طرح مشكلة « العلاقة بين الوحي الذي نزل على محمد والوحي السابق له »[١] .

وتحدثنا كتب الحديث الصحاح عن لقاء تم بين محمد ﷺ وبين ورقة ، بعد أن بلغ من الكبر عتيا ، فعمي ، وذلك حين تنزل على محمد ملك الوحي في غار حراء . وقد حملت محمداً زوجه خديجة على لقيا ورقة ، ليستفسر عن حقيقة هذا الذي دخل عليه الغار بتلك الطريقة المهيبة « فقالت له خديجة : يا ابن عم اسمع من ابن أخيك ! فقال له ورقة : يا ابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى ، فقال له ورقة : هذا الناموس الذي نزل على موسى ، ليتني فيها جذعاً ، ليتني أكون حيا اذ يخرجك قومك . فقال رسول الله ﷺ : أومخرجيّ هم !؟ قال : نعم ! لم يأت رجل قط بمثل ما جئتَ به إلا عُوديَ ، وانْ يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً ، ثم لم يَلْبثْ ورقة أن توفي ، وفتر الوحي »[٢] .

ولا أحب الاقتصار على رواية أصح الكتب بعد القرآن . وهو صحيح الامام البخاري ، بل أسرد من المصادر التي يحتج بها المستشرقون عادة ، ومنهم « واط » وهي كتب التاريخ ، وفي

---

(١) Mohammad At Mecca, 52

(٢) أخرجه الامام البخاري في صحيحه . وقد ذكرناه قبل بتمامه ص ٥٤ ـ ٥٦ . وروى الطبري نحو هذه الرواية أيضا في تاريخه جـ ٢ ص ٢٩٨/٢٩٩ .

مقدمتها : تاريخ الطبري .

ذكر ابو جعفر محمد بن جرير الطبري في رواية في تاريخه أن خديجة طمأنت زوجها .. ثم قال « فأتت خديجة ورقة بن نوفل فأخبرته الخبر ، فقال : لئن كنت صادقة ، ان زوجك لنبي ، وليلقين من أمته شدة ، ولئن أدركته لأومنن به »[1] .

وروى الطبري في رواية أخرى طويلة أن خديجة بعد أن طمأنت زوجها .. « انطلقت الى ورقة بن نوفل بن أسد ـ وهو ابن عمها ، وكان ورقة قد تنصر وقرأ الكتب ، وسمع من أهل التوراة والانجيل ـ فأخبرته بما أخبرها به رسول الله ﷺ **أنه رأى وسمع** ، فقال ورقة : قدوس ، قدوس ! والذي نفس ورقة بيده ، لئن كنتِ صدقتني يا خديجة . لقد جاءه الناموس الأكبر ـ يعني بالناموس جبرئيل عليه السلام الذي كان يأتي موسىٰ ـ وانه لنبي هذه الأمة ، فقولي له فليثبت .

فرجعت خديجة الى رسول الله ﷺ ، فأخبرته بقول ورقة . فسهّل ذلك عليه بعض ما هو فيه من الهم ، فلما قضىٰ رسول الله ﷺ جواره ، وانصرف ، صنع كما كان يصنع ، وبدأ بالكعبة فطاف بها . فلقيه ورقة بن نوفل ، وهو يطوف بالبيت فقال : يا ابن أخي . أخبرني بما رأيت أو سمعت ، فأخبره رسول الله ﷺ . **فقال ورقة : والذي نفسي بيده ، إنك لنبي هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء الى موسىٰ ، ولَتُكذبَنَّهْ ، ولَتُؤْذَيَنَّهْ .**

---

(١) تاريخ الطبري جـ ٢ ص ٢٩٩/٣٠٠ .

ولَتُخرجنهْ ، ولَتُقاتَلنَّهْ . ولئن أنا أدركتُ ذلك لأَنصرنّ الله نصراً يعلمه . ثم أدنىٰ رأسه فقبّل يافوخه ، ثم انصرف رسول الله ﷺ الى منزله »[1] .

« وقد زاده ذلك من قول ورقة ثباتاً ، وخفف عنه بعض ما كان فيه من الهم »[2] .

ونصتْ روايةُ ابن سعد أن خديجة ذهبتْ لوحدها الى ورقة بن نوفل ، فأعلن إيمانه ويقينه بأن هذا الحدث هو وحي الله ، وتعهد بنصرة الرسول وتأييده . فلم يترك بذلك مجالاً لتوهم الأخذ عنه وليس أمروٌ لديه علم بدين الله تعالى وهو على حافة القبر يستسيغ أن يكذب على الله في أقدس الأمور .. في وحي الله ورسالته . جاء في رواية ابن سعد :

« ثم أتت ـ خديجة ـ ورقة بن نوفل فذكرت له ذلك . فقال : إن يك صادقاً فهذا ناموسٌ مثل ناموس موسىٰ ، فإنْ يُبعث وأنا حيٌ فسأُعزِّرُهُ ، وأنصره ، وأُومن به »[3] .

الجمع بين روايات كتب الحديث والسيرة :

أما اللقاء الذي تم بين سيدنا محمد ﷺ وبين ورقة فانه تم في زمن متأخر ؛ بعد مجيئ ملك الوحي المرة الأولى ؛ واستثارته عجب الرسول واستفساره . هذا أمر أجمعتْ عليه جميع المصادر ، لكنها

---

(١) وأنظر سيرة ابن هشام جـ ١ ص ٣٥٤/٣٥٧ .
(٢) تاريخ الرسل والملوك جـ ٢ ص ٣٠١/٣٠٢ .
(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ١ ص ١٩٥ ط . بيروت .

اختلفت في زيارة خديجة لورقة ، هل كانت لوحدها أم بصحبة محمد بن عبد الله ﷺ ؟

وارى أن الجمع بين روايات السيرة ورواية الامام البخاري يفيد أن خديجة ذهبت أول مرة لوحدها ، لتسأل ورقة تأويل هذا الحدث .. ثم ذهبت أيضا مع محمد ﷺ الى ورقة وحضرت هذا اللقاء وشهدته . وإذا كانت رواية ابن سعد قد أوردت زيارة خديجة لورقة منفردة ؛ فإن رواية ابن اسحاق لم تنف هذا الحضور ولم تُثبته ، بينما جمعت رواية الامام الطبري بين الزيارتين في سياق واحد ، فكانت أوفى تعبيراً عن الحادثة .

ولا يغيب عن بالك أن خديجة هي المرأة الشهيرة بفطنتها ورزانتها ورجاحة عقلها .

طريقة ورقة في اعلان يقينه :

لقد استقصى المحدثون والمؤرخون كل ما عرف عن ورقة بن نوفل . مما له سند صحيح وما ليس له سند صحيح ، فلم نعثر في رواياتهم على ما يشير الى أنه كان داعية الى النصرانية ، ورواية الامام البخاري وهي أوثق رواية في أوثق مصدر تاريخي وكذا رواية ابن اسحاق لدى الطبري وابن هشام وغير ذلك من الروايات **أفادت أن نصرانية ورقة كانت قاصرة على نفسه . ولم تكن لديه حماسة التعليم ولا القدرة عليه والتفرغ له ، وإلا لكان أنشأ مدرسةً لها سمعتها ومشاكلها في الحياة الجاهلية الوثنية ، وما تخفى ولا تغيب أخبارها عن أحد أبدا ! !**

وها أنت ذا تجد أن ورقة يقف مستطلعا نبأ ما حصل لمحمد . ولم يكن ورقة يومها ولا قبلها معلما ولا ملقنا . ولو كان له بعض ذلك لأعلن ابتهاجه بأن غرسه قد أثمر ..!! لكنه أعلن أن وصف محمد ﷺ لملك الوحي مطابق لما عنده من صفات ملك الوحي الذي أنزله الله على موسىٰ ، إذ قال له ورقة : « والذي نفسي بيده ، إنك لنبي هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء الى موسىٰ ، ولَتُكذبنَّهْ ، وَلتُؤْذَيَنَّهْ ، ولَتُخرجنَّهْ ، ولَتُقاتلَنَّهْ . ولَئن أنا أدركتُ ذلك لأَنصرنَّ اللهَ نصراً يعلمه .. » .

أعلن ورقة بصراحة قوية مجلجلة أن هذا الحدث الهي المصدر والسبب ، خارج عن طاقة « محمد » المخلوق وتصرفه وارادته . وأن مشيئة الله اختارت محمدا ﷺ رسولا الى العالمين دون علمٍ سابق منه ؛ ودون ارادته أو تطلعه وسعيه .

ولكن لماذا أعلن ورقة أن الملك هو ملك الوحي الذي بعثه الله الى موسىٰ ولم يقل الى عيسىٰ !؟ علما بأن ورقة نفسه يقيم على شئ من النصرانية ؟

ذهب ابن حجر العسقلاني إلى أن ورقة أعلن بهذا أن المَلَكَ الذي لقيه محمد ﷺ في غار حراء هو ملك الوحي الذي أجمع أهل الديانتين « اليهودية والنصرانية » على الايمان بنزوله الى موسىٰ ، ولم يقل ورقة « إنه الذي نزل على عيسىٰ » لأن اليهود ينكرون نبوة عيسىٰ وصلته بوحي الله[1] .

---

(١) فتح الباري – ابن حجر العسقلاني جـ ١ ص ٢٠ .

قلت : ورأي اليهود هذا معروف في الجزيرة لاستيطانهم بعضها . فلقد احتاط ورقةُ فنسبَ الملكَ الى موسى ليكونَ أبلغَ في إعلان التيقنِ ، والتأكيد بأنه ملَكُ الوحيِ ، وأقطعَ حكماً بنبوةِ محمدٍ ﷺ ، وأنفى للشك وأبعد عن الاحتمالِ والتأويلِ الذي يجرُّ اليه قذفُ الموضوعِ في لُجة الخلاف بين اليهود والنصارى . وهذا غاية ما يمكن أن يُعبر به ورقة عن يقينه بالهية رسالة محمدٍ ﷺ .

ونسرد ملاحظاتنا حول المسألة فيما يلي :

(أ) ـ النصوص تنفي أي صلة سابقة بين ورقة ومحمد صلى الله عليه وسلم :

إن اللقاء بين محمد ﷺ وبين ورقة بن نوفل قد تم **في زمن متأخر** بعد مجيءِ ملك الوحي المرة الاولى الى رسول الله ﷺ .

وقد دلت النصوص على عدم وجود صلة سابقة بين محمد ﷺ وبين ورقة بن نوفل . حتى ان فكرة الاتصال بورقة لم تطرأ على بال الرسول الكريم سعياً لازالة الاشكال عن نفسه ! بل كانت الفكرة من اقتراح خديجة . فلو كانت هناك صلة سابقة كما زعم بغير دليل « واط » المستشرق ، لتبادرت الى ذهن الرسول سريعاً فكرةُ استفتاء ورقة !؟ أما وان الفكرة وليدة خاطر خديجة فأمر طبيعي أن تعلم المرأة من قريباتها وأقربائها أحوال ابن عمها واتجاهه الديني الذي خالف به أهل الجاهلية . ولكن زعمه أن خديجة وقعتْ تحت تأثير ورقة ، فزعم مجرد لا دليل عليه اطلاقا ، بل الدليل قائم على عكسه تماما ، حتىٰ في بعض المصادر التي يعول عليها البرفسور ، ويؤثرها

على كتب الحديث الصحيح التي حوت أضبط الوثائق التاريخية بعد القرآن العظيم . **فانظر رواية محمد بن سعد الواقدي في « الطبقات الكبرى » للحدث الأول للوحي . فانها تدلك على أنه لم يكن بين خديجة وورقة زيارة . اذ جاء فيها : « ثم انطلقت (خديجة) الى ورقة بن نوفل ، وهي أول مرة أتته** ، فأخبرته ما أخبرها به رسول الله ﷺ ، فقال ورقة : **والله إنَّ ابنَ عمك لَصادقٌ ، وإنَّ هذا لَبَدْءُ نبوة ، وإنه لَيأتيهِ الناموسُ الأكبر»**[1] .

فقد كان حرياً بمحمدٍ بعدَ الاشكالِ الذي حيَّره وأربكه في حراء أن يذهب لِتَوِّه الى ورقة قبل أن يذهب الى بيته ليسأل ورقة ويستعين به لو كان ورقة استاذا قديما له ، كما زعم « واط » . لكنك ترى حقائق التاريخ مناقضة زعمه من وجوه كثيرة جداً . فما دليله عليه إذن !؟

من المؤسف حقا أن الاستاذ « واط » قد قدم زعمه الهزيل بغير دليل !؟ اللهم إلا أن يكون دليله هو مجرد الاحتمال الوهمي أو الافتراض الخيالي الذي أفادته كلماته : « ويمكن .. ويبدو .. فمن الأفضل الافتراض ..» وقد درج الاستاذ « واط » على ايراد أمثال هذه الأدلة في تأييد معظم مزاعمه !! حتى لقبه بعض طلابه « بروفسور الاحتمالات » . وقد غاب عن فطنته الحادة أنه ليس كل

---

(١) دلت الرواية على أنه لم تكن زيارة معتادة بين البيتين : محمد وورقة . ولا يمكن حمل عبارتها على ما يخالف هذا المعنى . فان روايات الواقدي لحادثة الوحي ـ وهذه منها ـ ليس فيها ذكر اتصال بين الطرفين الا هذا الاتصال الوحيد بواسطة خديجة منفردة مرة واحدة فقط . فتأمل !! انظر الطبقات الكبرى ـ محمد بن سعد الواقدي جـ ١ ص ١٩٤/١٩٥ طبعة بيروت .

أمر محتمل وقوعه في تصور الذهن والخيال ؛ يعني أنه قد وقع وتحقق حدوثه فعلا في الواقع المعاصر أو في الماضي الغابر ! !

(ب) ـ موقف ورقة يدل على ربانية الوحي الى رسول الله :

١ ـ ان ورقة بن نوفل وقف من محمد رسول الله مستطلعاً مستفهما كشأن الراهب بحيرى تماما ! فأين هو التعليم والتلقي !؟

٢ ـ زدْ على ذلك أنه أنبأ رسول الله بأن قومه المشركين سيكافؤونه على الهداية بالأذى والعداء والاضطهاد الشديد . وأن حاله معهم كحال رسل الله قبله مع أقوامهم . ويمضي ورقة في اعلانه إلهية هذه الرسالة ويقينه بها ، فيندفع على كبر سنه بالتطوع للتضحية مناصرة لدعوة الله ورداً لأعدائها الكائدين .

٣ ـ إنَّ ورقة نفسه لم يدَّعِ النبوةَ ، ولم يطلب لنفسه مكانةً واعتباراً في الدعوة الجديدة كدليل ومرشد لها .. ! ! أَرأيت لو كان ورقة مصدر معارف محمد ﷺ ، أكان يقف منه موقف التابع المصدق المؤيد المناصر .. ! !؟

(جـ) ـ موقف قريش يثبت عزلة محمد صلى الله عليه وسلم عن ورقة :

إن قريشاً لم تتوان لحظة في تصيد أدنىٰ مطعن محتمل وتوجيهه الى رسول الله ﷺ .. فقد بالغت في ذلك وأفرطت حتىٰ زعمت أنه مجنون . وزعمت أنه يعلم من فتىٰ أعجمي رومي رقيق لديهم . !

فلو كان هناك أقل قدر من التواصل بين محمد وورقة لافترصته قريش ولبنت مزاعمها عليه . ومثل هذه الصلات الدينية لا تخفى في مجتمع وثني ريفي قديم ضيق مكشوف بعضه تجاه بعض ..!! لكنّ قريشاً مع إفراطها في العداء والبهتان ، لمّا لمْ تُورد شيئاً من هذا القبيل دلّ ذلك على عدمه أصلا ، وعلى أن القول به باطل مفضوح لا طائل وراءه !! بل لو كان شيءٌ من ذلك محتملاً احتمالاً لمالتْ قريشٌ على ورقة ليعلم شبابها ، فيناهضوا بذلك دعوة محمد صلى الله عليه وسلم .

(د) ـ إسلام ورقة ووفاته من دلائل وحي الله الى رسوله :

وها هو ذا ورقة يموتُ « ثم لم يَنْشَبْ ورقةُ أنْ تُوفيَ وفَتَرَ الوحيُ »[1] فمن أين لمحمد ـ بعده ـ تلك العلوم يتلو بعضها بعضاً أكثر من عشرين سنة !؟ وهذه الرواية جملة من وثيقة تاريخية ثابتة في صحيح الامام البخاري . وهي في منهج نقد الأخبار راجحة على كل ما يعارضها من الأخبار . نظراً لثبوتها بدراسة دقيقة في السند والمتن .

وجمهور المؤرخين والمحدثين وكتاب السيرة يعولون على هذه الحقيقة . وهي وفاة ورقة سريعا بعد هذا اللقاء . دل على ذلك لفظ الرواية (ثم لم ينشب) والمعنىٰ : لم يتعلق ورقة بشيءٍ من الأمور حتىٰ مات . وهذه اللفظة (ينشب) يعبر بها العرب عن السرعة

---

(١) آخر حديث البخاري وقد مر بك كاملاً ص ٥٤ ـ ٥٦ ـ لم يَنْشَبْ : لم يلبث .

والعجلة [1]

ويبدو من جميع الروايات أن ورقة كان يدرك أنه مشرف على أجله لفرط هرمه ووهن عظمه. في حديث البخاري أنه قال للرسول الكريم ﷺ « ليتني أكون حياً إذْ يُخرجك قومك .. وانْ يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً » . وهذا النص الوثيق أورده « واط » نفسه في كتابه .. فانه من رواية الزهرى التي عول عليها . لكن كتب التاريخ لم تتبع منهج النقد الدقيق للأخبار كما حصل في كتب الحديث . فرواية الزهري عند البخاري فيها « ثم لمْ يَنْشَبْ ورقةُ أن توفي وفتر الوحي » . وما قبلها دليل عليها يقتضي حصول مضمونها . فما وجه تكذيب « واط » بهذه الفقرة ؟

إن الكاتب المذكور زعم أنها زيادة لا أصَل لها ، وأنها أُضيفت لتبرير موقف ورقة وعدم اسلامه فيما بعد ، إذ قال : « وأما بقيةُ القصةِ من ناحية ثانية ، فهي تبدو كأنها محاولة لتفسير السبب الذي من أجله لم يصبح ورقة مسلما على الرغم من موافقته . وهناك بعض الروايات التي تجعل موته بعد سنتين أو ثلاث من رسالة محمد » [2]

ولا يغيب عنك أن ورقة قد أشهر تصديقه ، فماذا يحتاج أكثر من ذلك لإعلان إسلامه !؟ هل كان عليه آنئذ أن يذهب الى الكنيسة ليحذف اسمه من سجلاتها ..؟ أم كان عليه أن يحصل على صك يُبرؤ ذمته من المسيحية ، بعد أن عبث فيها رجال الكنيسة ، وحرفوا كلام الله وتنكروا لبشارات السيد المسيح بخاتم المرسلين

(١) انظر فتح الباري جـ ١ ص ١٥ وعمدة القارى للعيني جـ ١ ص ٥٣ .

(٢) Mohammad At Mecca, 51

محمد عليه الصلاة والسلام !!؟

ثم أن الاستاذ « واط » عول على رواية شاذة أفادت أنَّ ورقة عاش بعدُ نحو ثلاث سنين. أقول : حسنا ! لو افترضنا ذلك افتراضا فان الدعوة كانت سرية تماما ، كما ذكر « واط » نفسه في نفس الكتاب[1] ! فما يشعر الناس بكتمان الرجل اسلامه أو بعدم اسلامه أيضا ..!؟

ولو فرضنا أنه عاش بعد ولم يعلن اسلامه ، فما الذي يدعو المسلمين للكذب والاختلاق ومخالفة شرع الله !؟ أليس هناك قساوسة وأحبار وفصحاء عرب ، عرفوا رسالة النبي ﷺ واعجاز القرآن وصرحوا بذلك ثم لم يؤمنوا[2] .. فهل افترى المسلمون شيئا في حقهم لتبرير عدم اسلامهم !؟ حاشا أمة الاسلام من ذلك ! أم كان المسلمون عاجزين أن يقولوا : غلبه الحسد وطغت عليه العصبية فاستكبر وأبى كما فعل غيره !؟

واذا كان غرضهم تبرير عدم اشهار ورقة اسلامه ، فما كان يمنعهم أن يقولوا عبارة أقوى وأبلغ في الدعاية للاسلام !؟ ما منعهم أن يقولوا : إنه أسلم وعاش في الاسلام ثلاث سنوات ، كما أسلم من هو أعلم منه بكثير ، وهو حبر اليهود في المدينة ، عبدالله بن سلام . إذْ اسلم ، واستكتم الرسول اسلامه حتى يسألَ اليهود عن

---

(١) Mohammad At Mecca, 58

(٢) كالوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة من المشركين وكالعاقب عبد المسيح والسيد صاحبي نصارى نجران . [أنظر كتابينا « بينات المعجزة الخالدة ص ١٧٨/١٨٢ » و« نبوة محمد ص ٢٤٠ »] .

مكانته فيهم . فلما أقروا بها أشهر اسلامه أمامهم !![1] .

وما منعهم أن يقولوا : إن ورقة أسلم في مرحلة الدعوة السرية ـ وتوفي أثناءها ـ وأنهم رأوه يصلي خلف رسول الله ﷺ مع علي وخديجة في بيت ابنة عمه خديجة ذاتها .. !!؟ ما منعهم أن يزعموا ذلك لو كان رائدهم شيئا من الدعاية أو التبرير !؟ فان مثل هذا أجدى وأقوى .. أليس كذلك !؟ فالمسألة تحتاج الى فهم وعقل .. !!

ان الاختلاق والكذب وتزوير الحقائق والتبديل في الدين انما هو من أخلاق وشيم أمم أخرى !؟ حتىٰ زعمتْ فئة من النصارى أن الله الواحد هو ثلاثة . وأن الثلاثة واحد . فالواحد والثلاثة شيْ واحد !!؟ وان تلك الفئة تقترف مثل هذا في دينها ثم تحاول أن توهم أبناءها حصوله في أُمة سيد المرسلين . صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه : وصدق ما يعتاده من توهم

والواقع أن الوحي الأول عَلَم هامٌ من أعلام نبوة الرسول

---

(١) جاء في حديث الامام البخاري ـ كتاب الأنبياء ـ باب خلق آدم ـ أن عبد الله بن سلام لما أسلم قال : « يا رسول الله ! إن اليهود قوم بُهْتٌ . فإن علموا باسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك . فجاءت اليهود ودخل عبد الله البيت . فقال رسول الله ﷺ : أي رجل فيكم عبد الله بن سلام ؟ قالوا : أعلمنا وابنُ أعلمنا . وأخيرنا وابنُ أخيرنا . فقال رسول الله ﷺ : أفرأيتم إن أسلم عبد الله !؟ قالوا : أعاذه الله من ذلك !! قال : فخرج عبد الله اليهم . فقال : أشهدُ أنْ لا اله الا الله . وأشهدَ أن محمداً رسول الله . فقالوا : شرُّنا وابنُ شرنا . ووقعوا فيه » والبهت : بضم الباء : الكذب والافتراء . وقوم بُهْت : جمع بهوت . من بناء المبالغة في البهت . انظر النهاية لابن الأثير وجامع الأصول جـ ١٢ ص ٩٨/٩٧ .

الكريم ﷺ ، وبرهان ساطع من براهين صدقه والوحي اليه . لكن « واط » أراد اغفال ذلك كله بدون ضجيج ، وبدون تكذيب فاقع يلفت الانظار أو يثير السخط العميم والغضب العظيم في المسلمين . لذا لم يجب « واط » على دلالة الحديث الحتمية بشيء ، انما حول الأنظار عنها ببراعة احتيالية فائقة ، فزعم أن بقية قصة نزول ملك الوحي زيادة أضيفت فيما بعد ، لتبرير عدم اسلام ورقة . اذن علينا ـ في زعمه ـ أن نرفض هذه الرواية لهذا السبب ، وعلينا لسبب آخر مشابه « لا يعرفه القارئ لأول وهلة ولم يذكره المؤلف اذ يحتمل أن يكون في كلامه هنا توجيه لبني قومه بالاشارة مع حرصه على عدم اثارة سخط المسلمين أو انتباههم الى تغرض تخطيطه .. » علينا ـ في زعمه ـ أن نعول على أي نص يجمع بين ورقة ومحمد ، لماذا ؟ لأنه أفضل من النص الذي يجعلها لا يلتقيان ! !

ولكن ما قيمة النص الذي يجمع بينهما ـ حسب دعواك ـ وهل هو وثيق !؟ وما طريق توثيقه !؟ وما سبب ترجيحه !؟ وما وجه أفضليته من ناحية البحث العلمي الموضوعي الحيادي !؟ ثم أين هو هذا النص ! !؟؟

تأمل النهج العجيب الذي سلكه « واط » في بحثه الموضوعي الحيادي ! ! تأمله في قوله : « وأما بقية (قصة الوحي في غار حراء) من ناحية ثانية فهي تبدو كأنها محاولة لتفسير السبب الذي من أجله لم يصبح ورقة مسلما على الرغم من موافقته لمحمد ، **ولسبب مشابه** ، فان النص الذي يجمع بين محمد وورقة أفضل من

النص الذي يجعلها لا يلتقيان .. »[١]

(هـ) ـ الكذب على سيرة رسول الله من منهج المستشرقين :

أفادت الروايات أن الصلة بين ورقة ومحمد ﷺ انما حصلت بعد أن جاءه الملك في غار حراء . لكن الباحث الغربي « مسيحيا كان أم يهوديا أم ملحدا » يحسب أن هذه الحادثة فرصة عظيمة للطعن في نبوة الرسول ، اذ أثبتت اللقاء .. وهي رواية تاريخية وثيقة معترف بها عند المسلمين في أوثق مصادرهم ، فهي مغرية حقا أن تستغل تماما من وجهة نظر الباحث الغربي المغرض ! !

غير أن البحث الحيادي النزيه يورد على المستشرقين اعتراضا فإن هذا اللقاء انما تم بعد نزول الوحي على محمد فعلا ! مما يفيد أنه لا علاقة لورقة به ولا تأثير لآرائه في حصوله قبل هذا اللقاء على الأقل ! ! وهذا استنتاج موضوعي حتمي ملزم ! فيثبت بالتالي صدق محمد ﷺ في تلقيه الوحي الأول ، وصدقه أيضاً فيما تلاه من الوحي ، فقد منحه الله النبوة بالوحي الأول . أضفْ إلى ذلك أن ورقة قدْ وافاه أجلهُ سريعاً ! !

لذا نبه « واط » الباحثين الغربيين أن لا يستدلوا بهذه الرواية ذاتها . فانها لا تخدم مآربهم وأغراضهم ـ واصدار التوجيهات للغربيين من مقاصد « واط » الأساسية في كتابه ـ فمن الأفضل

---

(١) Mohammad At Mecca, 51

لهم ، في نظر الكاتب « الحيادي الموضوعي » ، أن يستدلوا بافتراض محض « اختلاق » لا أصل له في التاريخ إطلاقاً ! ! أرشدهم الى ذلك بقوله : « ولهذا فمن الأفضل الافتراض بأن محمداً كان قد عقد صلات مستمرة مع ورقة بن نوفل منذ وقت مبكر وتعلَّم أشياء كثيرة .. »[1] « فان النصَّ الذي يجمعُ بين محمد وورقة أفضلُ من النصِّ الذي يجعلها لا يلتقيان »[2] .

أي منهج في تحقيق الأخبار التاريخية جعل هذا الافتراض أفضل !؟ وهل لديك أنت وأضرابك منهج في البحث العلمي أصلا !؟ ثم ما وجه الأفضلية !؟ لا يرى العاقل لها وجهاً الا التعنت في إعظام شأن المسيحية المشوهة ، وفي اتهام الرسول الكريم جزافاً واعتباطاً بأنه اقتبس منها عن طريق ورقة .. ! ! فأين ما وعدت في مقدمة كتابك أن تبحث بشكل حيادي وموضوعي كمؤرخ .. !؟ ثم أين منهجك التاريخي لننظر فيه ولنحتكم اليه عند سلامته !؟ أين !؟ أين ما وعدت به !؟ .

فتأمل أيها القارئ النبيه هذا النموذج الهائل من الموضوعية ! ! وهذا المنهج العلمي الفائق ! وهذا الحياد النزيه في البحث ! ! تأمل هذا كله قبل أن يبلغك أن ديانة البروفسور العظيم هي المسيحية ،

---

(١) مر بك النص بتمامه في مطلع حديثنا عن ورقة .

(٢) النص بتمامه قد مر بك قبل صفحات . وجاء في بيان المستشرق المسلم « ناصر الدين دينيه » أن هؤلاء المستشرقين يعمدون الى هدم بعض الاخبار الصحيحة ، تأييدا لآرائهم وعصبياتهم ثم يعمدون الى بناء ــ وبالاحرى الى اختلاق « أخبار تحل محل ما هدموه . وها أنت ترى تطبيق ذلك بأم عينك ! فافهم ! ! « محمد رسول الله ــ مقدمة الدكتور عبد الحليم محمود ص ٥٦/٥٧ »

وأنه في الحقيقة ـ التي يخفيها ـ قسيس في كنيسة انكليزية ! ! لقد عرفه بذلك الطلاب المسلمون النابهون الذين درسوا في جامعته .

(و) ـ خدمتهم ضلالات الكنيسة بالاختلاق على الرسول زوراً وبهتاناً :

ماذا قصد المؤلف من زعمه استمرار حياة ورقة ثلاثة سنين بعد الوحي الأول ومن اختلاقه اتصالات دينية تلقى فيها محمد من ورقة منذ وقت مبكر؟؟ ان بيت القصيد من هذه المزاعم وأمثالها هو الايهام بأن الاسلام فيه كثير من أفكار ورقة ، ولكن أفكار ورقة المتنصر مستمدة من الكتاب المقدس (التوراة والانجيل) المقرر لدى الكنيسة ، اذن الاسلام مقتبس من المسيحية . وهذا ما يعبر المستشرقون المحدثون عنه : بالعلاقة بين الديانتين الاسلامية والمسيحية أو بين الوحيين كما قال « واط » ههنا :

« ولهذا فمن (الأفضل) الافتراض بأن محمداً كان قد عقد صلات مستمرة مع ورقة بن نوفل منذ وقت مبكرٍ وتعلَّم أشياء كثيرة . **وقد تأثرت التعاليم الاسلامية اللاحقة بأفكار ورقة** ! ! وهذا ما يعود بنا الى **طرح مشكلة العلاقة** بين الوحي الذي نزل على محمد والوحي السابق له »[1] .

---

(١) Mohammad At Mecca, 52 وقد ورد في تقرير (الكونت هنرى دي كاسترى) أن هؤلاء المستشر ـ ـ لم يقصدوا تجلية الحقائق التاريخية بل قصدوا حفظ روح البغضاء في نفوس أقوامهم وخدمة المقصد المسيحي الحكيم ـ حسب زعمهم ـ لذلك لجأوا الى السبِّ والشتم والتحريف في النقل » راجع : محمد رسول الله ـ مقدمة الدكتور عبد الحليم محمود ص ١٥ »

لا ريب ان هذا الزعم يحتاج الى دليل فان المقارنة الموضوعية بين التعاليم الاسلامية والمسيحية التي تكشف عن التأثر أو عن الاقتباس !؟ كلام بدون دليل مصيره الاهمال ! ! ان مقارنة المعلومات عند الطرفين تكشف استحالة اقتباس الاسلام من تلك الديانة شيئا ! لكن ما موقف القارئ العاقل من اصدار المستشرق « واط » هذا الحكم اعتباطا !؟ لا شك أنه سيعطي الكاتب وأمثاله رتبتهم الحقيقية ويعرف مستوى أبحاثهم وحقيقة أغراضهم ! !؟؟

فالمثقف العادي من المسلمين يدرك يقيناً أنَّ الاسلام يختلفُ جذرياً مع المعترف به عند أهل الديانتين اليهودية والمسيحية !؟ والاختلاف قائم على أشده في العقيدة والشريعة والأخلاق والقصص ! ! ولعل الله ييسر لنا إعطاء القارئ صورة مناسبة عن ذلك في المستقبل . والله ولي التوفيق .

(ز) - منهجهم في ترك مصادمة مشاعر المسلمين والتزام الاحتمالات الوهمية :

إن القسيس المستشرق « واط » له طريقة خاصة باتت هي الطريقة الحديثة المفضلة لدى المستشرقين . وهي عدم مصادمة مشاعر المسلمين مباشرة . لذا لجأ الى طمأنتهم في مقدمة الكتاب أنه سيكتب بشكل موضوعي وحيادي كمؤرخ وانه لن يعارض العقائد الاسلامية الأساسية .. ثم راح يتدرج بهدؤ ليصل الى غرضه . وقد اتبع في ذلك منطق المغالطة في الاستنتاج وهو منطق مرفوض في شتىٰ صنوف البحث العلمي . والباحث النبيه يلحظ أن الكاتب قد

أعطى النتيجة التي يريدها بعد مقدمات احتمالية وهمية ، تظهر في قوله : « غالبا ، وبالتأكيد ، ويمكن ، ويبدو » **ثم أَتْبَعَ ذلك بالنتيجة التي يقصدها مسبقاً** ، فقال بصيغة الجزم واليقين : « ولا شك أن المقطع القرآني حين ردده محمد يجب أن يكون ذكَّرَهُ بما هو مدين به لورقة » .

ثم انظر قوله : « فمن الأفضل الافتراض .. » **وتأمل كيف ابتنىٰ نتيجة قطعية على تلك المقدمة الموهومة المفترضة** ، إذْ قال : « وقد تأثرت التعاليم الاسلامية اللاحقة كثيراً بأفكار ورقة ! ! »[1] .

فكيف ينتج اليقين من الافتراض والاحتمال الوهمي الذي لم يؤيد بدليل ولم يقم على صحته برهان !؟ ان المقرر في أصول العلوم كلها أن النتيجة تتبع أضعف المقدمات وأوهاها . فلو كانت جميعُ المقدمات قوية الا واحدة ضعيفة لجاءت النتيجة ضعيفة بغير شك ! لكن العبقرية الخارقة في أبحاث « واط » وأمثاله تستخلص اليقين الذي لا شك فيه من مقدمات الوهم والخرص ! ! وان لم يكن هذا من منبع عقلية التثليث فهو من منبع المكر والاختلاق ﴿ **ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين** ﴾[2] .

وسبق أن أشرنا الى أن هذا المسلك من جملة طرقهم الكثيرة التي اتبعوها في أبحاثهم وأدت الى اختلال منهجهم وفساده ومجافاته لكل منطق علمي مقبول ! ![3] .

---

(١) Mohammad At Mecca, 39-52

(٢) سورة الأنفال : ٣٠ .

(٣) تقدم بحثنا : اختلال منهج البحث الاستشراقي ص ٣٢/٢٩ فقرة ٩ .

(ح) ـ الحقائق التاريخية تفضح تخرصات المستشرقين بشأن ورقة :

ان مكة مجتمع أُمي صغير ، وأحوال الفرد فيه مكشوفة لجميع أفراده ، سفراً واياباً ؛ عملاً وتعلماً .. يستحيل اخفاؤها ومنع اشتهارها . فان اخبار الأفراد تسري في المجتمعات الصغيرة سريان النسيم ، حتى تبلغ آحادهم من شقوق الأبواب والنوافذ ..

فلو كان محمد الصادق الأمين ﷺ زاول التعلم من بشر لظهرت عليه آثاره ، ولعرف قومه أخباره ، ولاحتجوا عليه بذلك . كيف لا ؟ وهم قد اختلقوا تهمة التلقي من فتىً رومي حداد مملوك ! ! فلو توهموا أدنىٰ احتمال للقاء مع ورقة والتلقي منه لما فوَّتوا تلك التهمة الباطلة لتبرير موقفهم ، وكيف يدعونها الى توهم أشدَّ منها ضعفا ، وهو الأخذ عن قين رومي جاهل ! ! ؟؟

وان في امتناعهم عن قذف الرسول الكريم بتهمة اللقاء مع ورقة والتلقي منه قرائن قوية تؤكد وفاته مبكرا في مطلع بعثة النبي ﷺ .

وقد جلّى القاضي عبد الجبار رحمه الله بعض هذه الحقائق ، إذْ قال : « ونحن وان لم نكن في زمانه ﷺ ، فقد علمنا أنه ما قرأ هذه الكتب ولا اكتتبها ولا اختلف الى أهلها ولا اختلفوا اليه .. ولا تلقىٰ ذلك عن أحد من الناس ، **لأنه ما من أحد يطلب فناً من الفنون الا وله في ذلك تارات وطبقات . فأول ذلك أن يكون طالبا أو سائلا عمن عنده هذا الادب وهذا الفن من العلم والأدب . ثم يختلف الى أهله ويصحبهم فيكون تارة مبتدئا ، ثم متوسطا ثم ماهرا متقدما . وكل هذه الأحوال معروفة معلومة لأهل زمانه ، لا يجوز**

أن يذهب عليهم . ولا يجوز أن يُخفى ولا يُكتم عن أحد كائنا من كان »[1] .

ان ظهور تلك العلوم الالهية العظيمة الجليلة المعجزة للبشر على محمد ﷺ مع أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب ، لم يتلق من عالم ولم يطالع في كتاب شيئا ، يُثبت يقيناً أن القرآن العظيم وحيٌ الهي مستقل عن ذات محمد ﷺ مستعل على امكاناته بل على امكانات جميع البشر .

﴿ وما كنتَ تتلو من قبلهِ من كتابٍ ولا تَخُطُّه بيمينك اذاً لارتابَ المبطلونَ بل هو آياتٌ بيناتٌ في صدورِ الذين أُتوا العلم وما يجحدُ بآياتنا الا الظالمون ﴾[2] .

والأظهر في قطعية هذه الدلالة أن تلك العلوم العلوية لم تأت أفكاراً في مراتب وأطوار على عادة العلماء المفكرين من البشر . انما جاءت رسول الله ﷺ دفعة واحدة ، كما هي ، في أسلوب يُعجز الأولين والآخرين . قال الامام فخر الدين الرازي :

« انه عليه السلام كان قبل اظهار دعوى الرسالة والنبوة ما كان يشرع في هذه المسائل ، وما كان يبحث عنها ، وما جرى على لسانه قط حديث النبوة والرسالة . والذي يدل على صحة قولنا أنه لو اتفق له شروع في هذه المطالب والمباحث قبل اظهار ادعاء الرسالة والنبوة لقالت الكفار له : انك أفنيت عمرك في التدبر والتأمل

---

(١) تثبيت دلائل النبوة ـ القاضي عبد الجبار المتوفي سنة ٤١٥ هـ ص ٨٧ طبع دار العربية بيروت .

(٢) سورة العنكبوت . ٤٨ ٤٩

وتحصيل هذه الكلمات حتى قدرت الآن على اظهارها . ولما لم يذكر هذا الكلام أحد من الاعداء مع شدة حرصهم على الطعن فيه وفي نبوته ، علمنا أنه عليه السلام ما كان شارعا قبل اظهار النبوة في شيءٍ من هذه العلوم . ومعلوم أن من انقضىٰ من عمره أربعون سنة ولم يخض في شيءٍ من هذه المطالب العلمية . ثم أنه خاض فيها دفعة واحدة وأتىٰ بكلام عجز الأولون والآخرون عن معارضته .. فصريح العقل يشهد بأن هذا لا يكون الا على سبيل الوحي والتنزيل »[1] .

قال الله تعالى : ﴿قل لو شاء الله ما تلوتُه عليكم ولا أَدْرا كم به فقد لبثتُ فيكم عُمُراً من قبله أفلا تعقلون !؟ فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته إنه لا يفلحُ المجرمون﴾[2] .

رحلتان إلى الشام سريعتان للتجارة

أثيرت جلبة حول رحلة محمد ﷺ الى بلاد الشام ، فقد فسرها المستشرقون بالاتجاه الذي حددوه لأنفسهم وهو الطعن في نبوة رسول الله ﷺ . وحسما لمادة النزاع نعود الى تاريخ رحلته في أقدم كتب السيرة والتاريخ ، الكتب التي يرتضونها . واليك زبدة ما جاء فيها :

١ ـ الرحلة الأولى :

لما بلغ محمد ﷺ ثماني سنين توفي جده عبد المطلب بن هاشم ،

(١) الاربعين في أصول الدين ص ٣١٢/٣١١ .
(٢) سورة يونس : ١٧/١٦ .

فتكلفه عمه أبوطالب . ثم أزمع أبوطالب الخروج في تجارة الى الشام مع الركب فتعلق به رسول الله ﷺ وهو ابن تسع سنين[1] . فسافر به عمه . فلما نزل بصرى من أرض الشام ، وبها راهب يقال له بحيرى في صومعة له ، وكان اليه علم أهل النصرانية ، فلما أقبلوا لينزلوا قريبا من صومعته رأى غمامة تظله من بين القوم . ثم أرسل بحيرى اليهم فقال : اني قد صنعت لكم طعاما يا معشر قريش ، فأنا أحب أن تحضروا كلكم ! فقال له رجل منهم : والله يا بحيرى ان لك شأنا اليوم ما كنت تصنع هذا بنا وقد كنا نمر بك كثيرا !؟ قال بحيرى : صدقت ! ولكنكم ضيف وقد أحببت أن أكرمكم .. وتخلف رسول الله من بين القوم لحداثة سنه في رحالهم تحت الشجرة . فلما تفرس بحيرى في وجوههم ولم ير الصفة التي يعرف عنده قال : لا يتخلفن أحد منكم عن طعامي ! قالوا : ما تخلف أحد الا غلام صغير في الرحال ، قال : ادعوه فليحضر .

« فلما رآه بحيرى جعل يلحظه لحظا شديدا ، وينظر الى أشياء من جسده . وقد كان يجدها عنده من صفته ، حتى اذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام اليه بحيرى فقال له : يا غلام أسألك بحق اللات والعزى الا ما أخبرتني عما أسألك عنه ، وانما قال له بحيرى ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بهما ، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال : « لا تسألني باللات والعزى شيئا ، فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضها » فقال بحيرى : فبالله الا ما أخبرتني عما أسألك عنه ، فقال

---

(١) عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ــ ابن سيد الناس جـ ١ ص ٤٠ طبعة بيروت .

له : « سلني عما بدا لك » فجعل يسأله عن أشياء من حاله ، من نومه ، وهيئته وأموره ، فجعل رسول الله ﷺ يخبره . فيوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته ، ثم نظر الى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده[1] .

(قال ابن هشام : وكان مثل أثر المحجم) .

قال ابن اسحاق : فلما فرغ أقبل على عمه أبي طالب فقال له : ما هذا الغلام منك ؟ قال : ابني ، قال له بحيرى : ما هو بابنك ، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون ابوه حيا ، قال : فانه ابن أخي . قال : فما فعل أبوه ؟ قال : مات وأمه حبلى به . قال : صدقت فارجع بابن أخيك الى بلده ، واحذر عليه اليهود ، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شرا ، فانه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم ، فأسرع به الى بلاده ، فخرج به عمه ابوطالب سريعا حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام »[2] .

٢ ـ الرحلة الثانية :

« قال ابن اسحاق : وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ، ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال في مالها ، وتضاربهم اياه بشيء تجعله لهم ، وكانت قريش قوما تجارا ، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها : من صدق حديثه ، وعظم أمانته ، وكرم أخلاقه .

---

(١) تحدثت عن خاتم النبوة في كتابي : نبوة محمد ﷺ في القرآن ص ٢٣٧ .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام جـ ١ ص ١٨٠ و١٩٤/١٩٦ وتاريخ الرسل والملوك للطبري جـ ٢ ص ٢٧٧/٢٧٨ وأنظر الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ١ ص ١٢٠/١٢١ .

بعثت اليه . فعرضت عليه أن يخرج في مال لها الى الشام تاجرا . وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار . مع غلام لها يقال له : ميسرة ، فقبله رسول الله ﷺ منها . وخرج في مالها ذلك . وخرج معه غلامها ميسرة ، حتى قدم الشام .

ثم باع رسول الله ﷺ سلعته التي خرج بها ، واشترى ما أراد أن يشتري ، **ثم أقبل قافلا الى مكة ومعه ميسرة** .. » وجاء في الطبقات الكبرى : « .. فخرج مع غلامها ميسرة . وجعل عمومته **يوصون به أهل العير . حتى قدما بصرى الشام** . فنزلا في ظل شجرة . فقال نسطور الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي ، ثم قال لميسرة : أفي عينيه حمرة ؟ قال : نعم ! لا تفارقه . قال : هو نبي ، وهو آخر الأنبياء »[1] .

وهذا الخبر واظلال الملكين رسول الله في سفره مذكوران في الكتب الثلاثة بصيغ متقاربة[1] .

تقولات المستشرقين عن رحلات وهمية الى الشام

زعم درمنغام ورينيه وغيرهما أن محمدا ﷺ قد اقتبس الأفكار الدينية من رحلاته الى الشام . وزعم درمنغام أنه مرّ مع القافلة بمدين . وهي بلدة في سيناء فأخذ عن رجالها العلم[2] .

لا ريب أن هذا الزعم وأمثاله لقي استنكارا عاما من المسلمين .

---

(١) السيرة النبوية حـ ١ ص ٢٠٣ وتاريخ الرسل والملوك حـ ٢ ص ٢٨٠ ٢٨١ . والطبقات الكبرى لابن سعد حـ ١ ص ١٣٠ ١٣١ .

(٢) الوحي المحمدي – رشيد رضا ص ٧١ ٧٤ طبعة خامسة بمصر.

وكانت تظهر آثار الصدمة في نفس كل مسلم يقرؤه لأول وهلة . فيتبدى النفور من القول وصاحبه ومن كتاباته كلها عن الاسلام .. لما حصل هذا بوضوح وظهر أن هذه الطريقة الاستشراقية في الكتابة عن الاسلام « المصادمة للمشاعر والحقائق مباشرة » طريقة عقيمة . لا تخرج مسلما عن دينه ولا تقنع غربيًا بوجهة نظر أئمة الاستشراق في بلده . لذا عمدوا الى أساليب أرق وأمكر وأدخل على النفس . وقد بلغ الذروة فيها الدكتور مونتكمري واط . تأمل نشره نفس الفكرة ولكن باسلوب الاحتمال والتشكيك ، فقد ذكر « واط » الرحلة مع أبي طالب ثم مع ميسرة ثم قال « واط » :

« وربما لم تكن خديجة ثرية جداً كما ذكر أحيانا ـ غير أن محمداً أصبح يملك رأس مال كافيا ، ليشارك بقدر في الاعمال التجارية .

في الحقيقة ليس هناك تسجيل أنه قد رحل من جديد الى سورية « يعني بعد زواجه من خديجة » ولكن **هذا لا يعني أنه لم يرحل** . ويمكن أن يكون قد كلف رجالا له بالاشراف على أعماله »[1] .

وطفقت في زماننا فئة من مرضى القلوب من الكتبة تحطب في حبال المستشرقين ، وقد استنارت في اتخاذ آرائها بحوالك الاستشراق . ظهر من هؤلاء الكتبة حاطب ليل في بلادنا ، نشر كتابه المادي المفضوح : « محمد رسول الحرية » وكما يقول الناس « المكتوب يُعرف من عنوانه » . أفاض الكاتب في خدمة سادته

---

(١) Mohammad At Mecca, 38

قائلا :

« ولكن أبابكر لم يعد صغيرا .. فهو الآن يا محمد قد جاوز الثلاثين مثلك ، وقد خرج معك في كل رحلاتك يتاجر بماله »[1] .

« أدركتما كل شيءٍ معا ، وضقتما معا بأسلوب الحياة في مكة ، ومضيت أنت تتأمل ، ولكن **أبابكر مضى يقرأ فيما انتهى اليه من كتب الأولين** ! .. ما أسعده فقد أتاحت له الحياة أن يتعلم القراءة والكتابة منذ الصغر ، على عكسك أنت !.. وما زال أبوبكر يقرأ ويحفظ كل ما ينتهي اليه . ويحول رحلاته التجارية الى فرص لمزيد من الاطلاع حتى أصبح اليوم أكثر فتيان قريش ثقافة .. وانك لفخور به »[1] .

« لقد طالما تحدث محمد بن عبدالله مع صديقه أبي بكر بن ابي قحافة ، في هذا كله ، ولقد رحلا معا ، وعانيا معا ، وشاهدا الرهبان والكهان في بلاد بعيدة ، وسمعا معا من الأخبار .. »[2] .

زيف زعمهم ترحال النبي الى الشام بعد الزواج :

١ ــ لابد للباحث حين يقرأ صحف التاريخ أن يلاحظ الفوارق الشاسعة بين العصور الغابرة والأيام الحاضرة .. وذلك من نواح متعددة من الحياة الانسانية . فلابد من اغفال كل الوسائل الحديثة حين التفكير في الماضي .. ولابد أن يأخذ الباحث بالحسبان ما يترتب على ذلك من نتائج . وما أكثر وما أخطر ما يترتب على

---

(١) محمد رسول الحرية ــ ص ٤٨ ــ سلسلة كتاب الهلال

(٢) نفس المصدر ص ٥٣

ذلك ! !؟ خذ مثلا وسائل المواصلات في عصرنا ، فلعل طائرة تنقلك في ساعة واحدة من الجزيرة العربية الى أوائل بلاد الشام « سورية الطبيعية » . بينما تعرف من مطالعتك الوثيقة في حنايا المصادر التاريخية المعتمدة أن أهل الجاهلية كانوا يضربون أكباد الأبل شهرا في الصحراء ليزوروا القدس ! ![1] .

واليك مثالا آخر : ان البلدة أو المدينة المعروفة في أي دولة معاصرة تغص على الأقل بنحو نصف مليون نسمة ـ دع عنك المدن الكبرى ـ وهي متسعة الجنبات ، وقد تعقدت الحياة المدنية فيها وكثرت مشاغل الناس بحيث لا يدري المرء عن جاره الا النزر اليسير من الأخبار ، وربما لا يلقاه في الأشهر العديدة الا مرة فريدة ! لكن البلدة الكبيرة في جزيرة الأمية كانت مكة ، وهي في حسبان اليوم أقل من قرية صغيرة .. والمساكن فيها متقاربة والأزقة ضيقة على ما هو معروف من الحياة القديمة .. والناظر في أخبار التاريخ الوثيقة التي تشير الى حدود مكة في الجاهلية ليعجب تماما من صغر مساحتها ! !

أضف الى ذلك كله تغاير البنية الاجتماعية . فالناس في تقابل دائم وخاصة في ناديهم الطبيعي الدائم وهو المسجد الحرام . فما يدوم غياب شخص معروف منهم برهة الا ويُفتقد ويُعرف شأنه .. فما بالك برجل من عائلة وجيهة ذات نسب وحسب ورتب ! !؟ وقد بلغ هذا الرجل قدراً رفيعاً حتى تفرد بالاشتهار بلقب الأمين . كما

---

(١) سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ـ ابومحمد عبدالملك بن هشام جـ ٢ ص ٤ .

اشتهر بالصدق وحميد الخصال وكانت الأموال تودع أمانة عنده .

أرأيت لو غاب رجل بهذه الصفة في رحلة يستغرق طريقها شهرا .. فاذا أراد انجاز مصالح تجارية احتاج الى وقت أكبر لانفاقه ! ! فاذا التزم التلقي والتعلم .. فالعلم يستنفد وقتا مديدا .. فاذا أضفت الى ذلك أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب كانت حاجته أمس الى وقت أطول ! ! اذن سيعرف الأمر ويشتهر خبر سفره في مجتمعه الضيق ، وسيسأل عنه في المنتدى العام « المسجد الحرام » وسيحفظ القوم ذلك ! !

٢ ـ واذا لاحظنا وسائل المواصلات القديمة وتذكرنا قوافل الجمال التجارية في رحلتي الصيف الى الشام والشتاء الى اليمن . أذكرنا ذلك أن القافلة فيها عدد من الرجال غير قليل .. ولهم مصالح مع أناس يودعونهم وله أهل يسيرون وراءه مودعين الى ظاهر مكة .. ولابد من الاختلاط مع رفاق كثيرين في رحلة طويلة كهذه والتعاون معهم .. كل ذلك يجعل الرحلة تاريخا لا ينسى في عمر الانسان .. ويكون تاريخا مشهورا محفوظا لدى الكثيرين لا يمحى من الأذهان ، وخاصة في أناس دأبوا على حفظ أيامهم وأمجادهم وكل تواريخهم بالذاكرة لأنهم أميون .. ويشير الى هذا المعنى في اشتهار الرحلات رواية ابن سعد في الطبقات عن رحلة النبي قبل الزواج مع ميسرة . اذ جعل أعمامه يوصون به رجال الركب حرصا عليه واعتناء به وتخوفا عليه . ورد في رواية ابن سعد « فخرج (يعني رسول الله) مع غلامها ميسرة ، **وجعل عمومته**

يوصون به أهل العير .. »[1] . ان وداع القوافل في انطلاقها واستقبالها بالابتهاج لدى ايابها من قبل الاحباء والأقرباء وأصحاب العلاقات المالية والتزام الرفاق يجعل الرحلة في القافلة يوما مشهودا لا ينسى !!

٣ ـ انك لا تنسى أن زعماء الشرك في قريش وأتباعهم قد ناصبوا محمدا العداء منذ أشهر دعوته .. وانهم حرصوا على التماس كل قول لصرف الناس عن رسالته . لذا نجدهم بالغوا في اتهامه حتى الاسفاف ـ على الرغم من اشتهاره بالخلق ورجاحة العقل ـ اذ قالوا : ساحر ، مجنون ، شاعر ، شاعر مجنون ، كذاب ..الخ لقد حاروا في التماس دليل مقنع يصرف الناس عن رسالته . أرأيت لو كان له ترحال الى الشام يحتمل أن يتلقى فيه بعض العلم . أكان المشركون يتركون اتهامه بالتعلم من نصارى الشام !؟

كيف وقد أمعنوا في التماس مثل هذا الدليل حتى حملهم غيهم أن يزعموا أنه تلقى العلم من رقيق رومي في مكة !!؟

ان ظروف ذلك العصر التي تؤدى الى اشتهار الرحلات ، وضيق المجتمع المكي ، وملازمة الأصحاب اضطرارا في تلك الأسفار ، وان عدول قريش عن اتهامه بالترحال الى الشام وتلقي العلم فيها الى تعلات تافهة .. كل ذلك دلائل تفيد يقينا عدم ترحاله بعد الزواج الى الشام ، بل تفيد استحالة احتمال حصول ذلك حتى صار العقل العلمي ملزما برفض افتراض هذا الاحتمال الوهمي لقيام

---

(١) راجع النص بتمامه في الطبقات لابن سعد جـ ١ ص ١٣٠/١٣١ وذكرنا جانبا منه في الرحلة الثانية .

الدلائل القطعية على نقيضه .

٤ ـ ارجع الآن الى زعم البرفسور « واط » : « في الحقيقة ليس هناك تسجيل أنه قد رحل من جديد الى سورية (يعني بعد زواجه من خديجة) **ولكن هذا لا يعني انه لم يرحل** . ويمكن أن يكون قد كلف رجالا له بالاشراف على أعماله »[١] .

وهكذا جعل الأصل أن محمدا رحل الشام مرارا بعد زواجه من خديجة ، وأن عدم ذكر شيء في مصادر التاريخ عن أي رحلة له اليها ليس دليلا على عدم الرحلة . بل من الممكن ـ احتمالا ـ أنه لم يرحل . وهكذا عكس دلالة كتب التاريخ فجعل الاحتمال الذي لا دليل عليه « وهو زعم الرحلة » الحدث الأصلي الواقع ؛ اذْ قال : « ولكن هذا لا يعني أنه لم يرحل » وجعل ما دلت عليه المصادر « وهو عدم الرحلة » محتملاً احتمالاً ، اذ قال : « ويمكن أن يكون قد كلف رجالا له بالاشراف على أعماله » وانه احتمال في نظره غير صحيح ، اذ أورده بعد أن نسب اليه الترحال الى الشام بعد زواجه من السيدة خديجة .

وهذا التصرف المعكوس المنكوس ـ من مناهج الاستشراق وأساليبه في البحث العلمي الموضوعي عن الاسلام ! وهو ـ في نظرهم ـ الحياد النزيه الذي لا تشوبه شائبة من الحقد أو العصبية أو المغالاة ، والذي لم تتسبب في ظهوره بعض المطامع الاستعمارية ! !

فصار في مذهبهم الحيادي العادل النزيه أن الأصل اعتبار كل

(١) Monammad At Mecca, 38

شريف فاضل مجرماً حتى تثبت الدلائل المادية عدم اجرامه ! !؟؟
وهكذا فكل انسان في المجتمع يُدانُ بهذه الطريقة بأي تهمة يلصقها به أي واهم أو سفيه أو حقود متهور ، فيغدو بهذا المبدأ كل انسان أمين فاضل مجرما .. !؟

لكن لا تنسى أنه يظل البرفسور العظيم ـ ومن على شاكلته ـ بريئا نزيها .! ! لأن هذا هو البحث العلمي الموضوعي الحيادي النزيه ! !

وبالاضافة إلى أنَّ قواعد الحق تُقرر أن المدعى عليه « وهنا المفترى عليه » بريئ حتى يدان بالدلائل ، فقد أظهرت لك البراهين القطعية استحالة حصول تلك الرحلات الوهمية المفترضة . وذلك للعوامل الكثيرة التي أسلفنا تبيانها .

٥ ـ أما زعم « الكاتب العربي » أن أبابكر كان يعرف علوم أهل الكتاب ، فانه زعم محض لا دليل عليه ، اللهم إلا أن يكون محاكاة للاجانب وارتقابا للمنافع . ولا شك أن قواعد البحث العلمي وقواعد الحق المعترف بها لدى كل انسان ، تقضي أن يقدم المدعي بينة على دعواه . فأين البينة على تلك الدعوى ! !؟ ولماذا لم يشتهر أبوبكر بمعرفته بالعبرية كما اشتهر ورقة بن نوفل في مجتمع الأمية والوثنية بمكة المكرمة !؟

ثم لماذا لم يدعم أبوبكر موقف صديقه الحميم بشهادته الوثيقة حول مسألة الوحي اذا كان يعرف أوصافه من الكتب السابقة !؟

ألم يفعل ذلك ورقة ! وكان الموقف بأمس الحاجة الى هذه الشهادة ! فان المشركين أنفسهم لو عرفوا دراية لأبي بكر بالعبرية

لابد لهم أن يسألوه عن التطابق بين الدعوة الجديدة والدين القديم . وما أحرص الصحابة أيضا على استماع شهادة أبي بكر لتعاضد الأدلة القطعية على رسالة محمد ﷺ فيزدادوا بها يقينا على يقينهم ، ويتناقلونها فيما بينهم وفي دعوتهم الى أحبائهم ممن لم يسلموا ثم الى أولادهم واخوانهم في الدين الذين جاؤوا من بعدهم ! !

لقد أسلم عبد الله بن سلام وهو من أعظم أحبار اليهود وشهد بأن صفات محمد بن عبدالله هي صفات خاتم المرسلين المذكورة في الكتب المقدسة لديهم .. تلقى المسلمون شهادته بحرص بالغ ويقين زائد وتناقلوها الى أيامنا هذه[1] .

فلو كان أبوبكر على اطلاع على النصرانية ، أما كان يخدم دينه بشهادة مثلها كذلك !؟ أما كان المسلمون يطلبون اليه ذلك !؟

ان زعم تعلم أبي بكر الكتب المقدسة قضية لا دليل عليها ، بل الأدلة قائمة على نفيها ، فالى أين يذهب المتقولون على حقائق التاريخ !؟ ولماذا يؤفكون عن الحق المبين !؟

٦ ـ والعجيب أن هؤلاء الملاحدة وفي مقدمتهم الشيوعيون متآزرون تماما مع التبشير والاستشراق ومنسجمون في أفكارهم مع الغزو الفكري الاستعماري ، وذلك في نفس الوقت الذي يتحدثون فيه عن آثار الكنيسة في الغرب وثورة الالحاد والشيوعية عليها . ويزعمون أنهم دعاة تحرر من الاستعمار وغزوه الفكري .. فهم في الواقع مجمع النقائض ! ! لأن الكفر ملة واحدة ، والكفار بعضهم

---

(١) روى الامام البخاري وغيره قصة اسلامه . وقد مر بك الحديث آنفا ص ٩٧ .

أولياء بعض في عداوة دين الله والكيد للمسلمين من عباد الله .

﴿ لِيَميزَ اللهُ الخبيثَ من الطيبِ ويجعلَ الخبيثَ بعضَهُ على بعضٍ فيركُمَهُ جميعاً فيجعلَهُ في جهنَّم أولئكَ همُ الخاسرون ﴾[1] .

ولا ريب أن زعم الكاتب ترحال أبي بكر مع رسول الله والاستماع الى الأحبار زعم يحاكي فيه التابع قائده والعبد سيده ! زعم بغير بيّنة ولا دليل ! ! بل هو تخرص تدحضه حقائق الواقع التاريخي كما تقدم ذكرها . أضف الى ذلك أنه يستحيل أن تطيق قريش سكوتا على ترحالها وصبرا على طعنهما في دينها وآلهتها . ثم لا تقيم عليهما حجتها ـ لو كانت حاصلة ـ بأنهما سافرا وتعلّما .. ثم تنسبهما الى التآمر عليها لاقتناص زعامتها ! !

اذا غابت حقائق السيرة والتاريخ عن المبشرين والمستشرقين لبعدهم عن الاسلام والعربية فانها قريبة المنال جلية المعالم بالنسبة لكاتب صحفي عربي في بلد اسلامي عريق .. ! ! فما آفته إذن ! ! ما منعه عن استجلاء الحقائق من أهل الذكر !؟ وما دفعه الى متابعة الأجانب .. حذو النعل بالنعل ! !؟؟

﴿ فانها لا تعمىٰ الأبصارُ ولكنْ تعمىٰ القلوبُ التي في الصدورِ ﴾[2] .

قصص الأنبياء وحي إلٰهي خالص

ههنا مسألة جديدة تتعلق بالمسائل التي سبق لنا نقاشها والرد

---

(١) سورة الأنفال : ٣٧ .

(٢) سورة الحج : ٤٦ .

على تقول المستشرقين فيها . فان معظم ما ورد من قصص الأنبياء في القرآن إنما ورد على شاكلة تخالف معلومات أهل زمان البعثة النبوية سواء أكانوا يهوداً أم نصارى أم مشركين !! وبيّن القرآن أن الرسول الكريم ما كان يعرف هذه القصص ولا كان قومه يعرفونها وأن الله أنبأً بها محمداً بالوحي الالهي بواسطة جبريل عليه الصلاة والسلام وأنها هي الحق الواقع في حياة الأنبياء السابقين عليهم صلوات الله وسلامه ، وأنها كانت قبل أن يوحي الله تعالى بها غيبا مجهولا لا يدري بها أهل ذلك الزمان . إن الغريب أن تجد الاستاذ « واط » يعطيك فكرة عن قَصصِ الأنبياء خلافا لما هو مألوف ومعروف للمسلمين جميعا ..!! ولكن الأعجب الأغرب أن يزعم أن تقوله في قصص الأنبياء هو رأي المسلمين أنفسهم !!؟؟ ولكن من أي مصدر علم أن تقوله هو رأي المسلمين !؟ ولماذا لم يذكر المصدر !؟

زعم « واط » مترعم المستشرقين ما يلي :

« ورأي المسلمين هو التالي : « حينما اعترف المسلمون الأُول بمحمد نبياً بدأوا ــ ومحمد معهم ــ بالاهتمام بالأنبياء السابقين . فاكتشفوا منهم من استطاعوا ، وأخذت معلوماتهم تزداد تدريجيا » ونجد أثر ذلك في القرآن . وهناك جمل عديدة في القرآن تدل على أن المادة المفسَّرة لم تكن غريبة عنهم . مثال : ﴿ **هل أتاك حديث الجنود . فرعون وثمود** ﴾ ! (١٧/٨٥) وكذلك قوله : ﴿ **ذلك من أنباء الغيب** ﴾ (٣/٤٤) يدل على أن التفاصيل جميعها لم تكن

معروفة من محمد نفسه »[1] .

ونسجل ههنا الملاحظات التالية :

أولاً : تناقض المستشرق وإرساله التهمة جزافاً دون دليل :

إنَّ مضمون هذا النص يزعم أن الرسول تلقى من بعض الصحابة معلومات عن الأنبياء ـ وبالتالي يزعم أنه صاغها قرآناً يُتلى ! !؟ـ ولكن المؤلف الذي اكتسى ثوب المؤرخ لم يذكر خبراً تاريخياً واحداً يدل على مثل هذا التصرف عبارة أو إشارةً ! !؟ ثم لم يذكر أيضا من هم الصحابة الذين اكتشفوا مع الرسول الأنبياء ، ولا كيف تم اكتشافهم . ومن أي مصدرٍ « أو حفريات أثرية » حصل لهم وهم أميون ! !؟؟ هل هكذا البحث التاريخي العلمي الحيادي تعميم وتعمية واصدار حكم بغير دليل ! !؟؟ ثم كيف أعانه أصحابه على استجماع أخبار الأنبياء وأفادوه بما لديهم ولدى غيرهم ـكما تزعم ـ ثم ظلوا يتابعونه نبياً رسولاً !؟

ولكن ألم يسبق لك التقول افتراءً بأنه كانت له اتصالات مع ورقة ، حتى تلقى منه ما في الكتب المسيحية المقدسة[2] ! !؟ فكيف احتاج بعد ذلك الى معرفة قصص الأنبياء من غيره ! !؟ ما هذا التناقض ! !؟؟

ثانياً : جهل ومغالطة في استدلال المستشرق بقصص الأنبياء :

لربما يدخل الوهم قلب انسان بعيد عن الثقافة الاسلامية ، فيتوهم أن ايراد المستشرق النصين من القرآن دليل على ما يقوله .

---

(١) Mohammad At Mecca, 84

(٢) رجع ص ٨٥ وما بعدها .

ونحن نجيب عن ذلك بما يلي :

١ ـ انه لم يستشهد بالنصين على أنهم كانوا يكتشفون أخبار الأنبياء . انما استشهد بالنص الأول على أنه يفيد أن الصحابة كانوا يعرفون أنباء يسيرة عن بعض المرسلين قبل نزول هذا النص من القرآن . وهذا لا يقدم ولا يؤخر ، وهو أمر معلوم لدى جماهير المسلمين منذ عصر النبوة حتى زماننا هذا ! !

والنص الأول في سورة البروج التي ذكرتْ قصة أصحاب الأخدود ، وصبر أهل الايمان على عسف الضلال والطغيان ! وبيان أن سبب نقمتهم على المؤمنين أنهم آمنوا بالله ورسوله ! ! ثم بيان مصير كل من الفريقين ، فريق في الجنة ، وفريق في السعير. فإن بطش الله شديد ، وإنه المحيي المميت المبدئ المعيد ، الغفور الودود ، الفعال لما يُريد . ثم ذكّر تعالى رسولَه والمؤمنين بقوم آخرين اشارة للعظات البليغة ، فقال تعالى : ﴿ **هل أتاكَ حديثُ الجنود . فرعونَ وثمودَ ، بل الذين كفروا في تكذيبٍ واللهُ من ورائهم محيطٌ . بل هو قرآنٌ مجيدٌ في لوحٍ محفوظ** ﴾[1] .

ولنا ههنا أن نسأل : ما الحكمة في الاشارة الى قصة قوم فرعون وثمود اشارةً بينما فصلت السورة قصةَ أصحابِ الأخدود تفصيلا !؟

لو كان القوم يعرفون قصة أصحاب الأخدود لما جاز تفصيلها اطلاقا . خاصة وأنها قُرنت بموجز قصتي قوم فرعون وثمود !؟ ولو

---

(١) آخر سورة البروج .

كان القوم يجهلون تماما قصة قوم فرعون وقصة ثمود لما ناسب ايراد الاشارة اليهما بل لاقتضي المقام تفصيلا لشأنهما .. مناسباً للعظات المشار اليها ! !

أكتفي في هذا الوقت بايراد تفسير النص من « الجامع لأحكام القرآن » للامام محمد القرطبي ـ رحمه الله ـ إذ قال :

[﴿ **هل أتاك حديث الجنود** ﴾ أي قد أتاك يا محمد خبر الجموع الكافرة المكذبة لأنبيائهم . يؤنسه بذلك ويسليه . ثم بيّنهم فقال : ﴿ **فرعون وثمود** ﴾ .. المعنى : انك قد عرفت ما فعل الله بهم حين كذبوا أنبياءه ورسله ﴿ **بل الذين كفروا** ﴾ : أي من هؤلاء ـ مشركو مكة ـ الذين لا يؤمنون بك . ﴿ **في تكذيب** ﴾ : لك ، كدأب من قبلهم . **وانما خص فرعون وثمود . لأن ثمود في بلاد العرب . وقصتهم عندهم مشهورة وان كانوا من المتقدمين . وأمر فرعون كان مشهوراً عند أهل الكتاب وغيرهم . وكان من المتأخرين في الهلاك . فدل بهما على أمثالها في الهلاك** .. ﴿ **والله ورائهم محيط** ﴾ : **أي يقدر أن يُنزل بهم ما أنزل بفرعون**][1]

٢ ـ ان معرفة العرب بِنُتَفٍ يسيرةٍ من أنباء بعض الأنبياء ـ قد أشار الله الى عظاتها تربية لهم ـ لا تعني أنهم يعرفون مثل ذلك عن جميع الأنبياء . فضلاً عن التفاصيل ! ! وقد أقر المستشرق بأن التفاصيل جميعها لم تكن معروفة من محمد نفسه ! ! غير أنه استشهد ببعض آية ولم يذكرها بتمامها استكمالاً للمعنى

---

(١) الجامع لأحكام القرآن حـ ١٩ ص ٢٩٧، ٢٩٨ وانظر روح المعاني حـ ٣٠ ص ٩٣ .

وللأسف ! ! كما استشهد في الأعلى ببعض نص من سورة البروج ـ وهذا من أساليب كبار المستشرقين ـ .

لكنَّ بقيةَ أخبارِ المرسلين واقوامهم ليستْ معلومةً لسيدنا محمد وقومه على الاطلاق . وما عرفها الا بوحي الله . قال الله تعالى في سورة آل عمران : ﴿ **ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك ، وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم ، وما كنت لديهم اذ يختصمون** ﴾[1] .

لا ريب أنه يتوجب على الباحث معرفة المشار اليه في اسم الاشارة (ذلك) ولا يمكن ذلك إلا بقراءة الآيات السابقة لهذه الآية . فالسورة تدل باسمها أنها تتحدث عن نبي الله عمران وعن ذريته . فقد تحدثت أيضا عن نبي الله زكريا وولده نبي الله يحيى . وتحدثت عن ابنة عمران وهي السيدة الطاهرة مريم العذراء البتول ، وعما تثيره قصصهم من العبر والعظات ، ثم قالت السورة :

[﴿ **ذلك من أنباء الغيب** ﴾ : أي الذي ذكرنا ـ آنفاً ـ من حديث زكريا ويحيى ومريم عليهم السلام من أخبار الغيب ﴿ **نوحيه اليك** ﴾ : فيه دلالة على نبوة محمد ﷺ حيث أخبر عن قصة زكريا ومريم ولم يكن قرأ الكتب ! وأخبر عن ذلك وصدقه أهل الكتاب بذلك . فذلك قوله تعالى : ﴿ **نوحيه اليك** ﴾][2] .

---

(١) سورة آل عمران : ٤٤ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن ـ أبو عبدالله محمد بن احمد الانصاري القرطبي جـ ٤ ص ٨٥/٨٦ .

[﴿ **وما كنت لديهم** ﴾ : أي عند المتنازعين ـ لم تشهد النزاع بينهم ـ والمقصود من هذه الجملة تحقيقُ كونِ الإِخبار بما ذكر ـ سابقاً ـ عن وحي ، على سبيل التهكم بمنكريه ! كأنه قيل : ان رسولنا أخبركم بما لاسبيل الى معرفته بالعقل مع اعترافكم بأنه لم يسمعه ولم يقرأه في كتاب ، وتنكرون أنه وحي ! فلم يبق مع هذا ما يحتاج الى النفي سوى المشاهدة التي هي أظهر الأمور انتفاء ، لاستحالتها المعلومة عند جميع العقلاء][1] ومعلوم في قصة السيدة مريم أنهم اختلفوا فيمن يحضنها ، فاقترعوا بأقلامهم فكانت من نصيب زوج خالتها زكريا عليه السلام[2] ، فقد كان كل منهم حريصاً على كفالتها .

ثالثاً : دسٌّ اعتقادي وتهرب من سطوة البراهين القاطعة :

ينتقل البروفسور « واط » بقارئ كتابه فجأة الى واد آخر . اذْ أَتْبَعَ تقوله السابق بتقول جديد : « ويجب مع ذلك أن نذكر هنا بأن التمييز الغربي بين الواقعة المجردة ومغزاها ليس مفهوما تماما في الشرق ..

أما في الشرق العربي حيث لا يقيم الناس مثل هذا التمييز فيكفي القرآن أن يقول : (أنباء) ! !

هذا ما يمكن التقدم به من مسلم يحاول اقناع غربي لا يؤمن بالمعجزات ! ! »[3]

---

(١) روح المعاني ـ محمود الآلوسي ـ جـ ٣ ص ١٥٨ .

(٢) وقيل أنه كان زوج أختها

(٣) Mohammad At Mecca, 84

١ ـ لا تعجب من هذا ! ! فقد درج المؤلف عليه من أول كتابه الى نهايته ! أما تراه يبني وجهة نظره بدون فهم على كلمة من آية !؟ كما تغافل هذا المؤلف عن البرهان العقلي الذي أورده القرآن العظيم في تمام الآية .. ! ! وقد أوضحناه لك آنفاً !

ثم أنت تسأله : من أي مصدر علمت أن المسلمين يكتفون بالاستدلال بكلمة (أنباء) !؟ من أي من كتب السيرة أو التفسير أو العقيدة !؟ نحن نتحدى المستشرق أن يشير الى مصدر علمي واحد يستدل على صدق القرآن بالطريقة التي زعمها ! !

٢ ـ انك قدمت لكتابك بأنك وضعته لفئة المؤرخين .. وأنك ستتخذ موقفاً محايداً من المسائل الخلافية بين المسيحية والاسلام .. ! ! [١]

ولكن ماذا ترى الآن في هذا النص !؟ وماذا يرى فيه المثقف الواعي ، بيانا تاريخياً أم دساً اعتقادياً ! !؟

٣ ـ ان أهم هجوم يشنه علينا رجال الاستشراق المحاربون للاسلام هو اتهامهم علماء المسلمين بأنهم يأخذون فقرة من كلامهم ويتركون ما يتصل بها .. وهو زعم لا أصل له ! واني حرصت على استيفاء هذه الناحية . فلا أغفل كلمة تدعم وجهة نظر المستشرق حين الاستشهاد بنص من كلامه !

ولكن هل ترى المستشرق التزم المذهب العلمي الحيادي بايراد النصوص كاملة ، وهو المذهب الذي يزعم توفره فيهم وخلو كتابات

---

(١) Muhammad at Mecca, introduction, X

غيرهم منه .

لم يكتف المؤرخ أن استشهد ببعض النص .. بل إنَّه أغفل ايراد نص هام يرادف الأول ويعاضده . وهو أظهر برهاناً لمن لم يتعمق في أسلوب البيان العربي . وذلك قول الحق تبارك وتعالى في سورة هود المكية بعد أن فصل قصة رسوله نوح عليه السلام :

﴿ تلك من أنباءِ الغيبِ نُوحيها إليكَ . ما كنتَ تعلمها أنتَ ولا قومُكَ من قبلِ هذا . فاصبرْ إنَّ العاقبة للمتقين ﴾[1] .

أفادت هذه الآية بجلاء أن محمداً لم يتلق من أحد من الناس قصص النبيين . فالمعهود فيه أنه أمي لم يقرأ كتابا قطُّ في حياته ولم يتلقَّ من عالمٍ علماً ! وأنَّ قومه أُميون لا يعرفون من تاريخ المرسلين الا لمحات يسيرة عن بعضهم . قد توارثتها الأجيال وسارتْ بها الأمثالُ . وقد أَشار اللهُ الى معرفتهم اياها ، كما في سورة البروج . وما عدا ذلك فان الله تعالى عقَّبَ على قصص المرسلين بما يثبت أنها وحي من الله الى رسوله . وما أرسلت هذه الحقيقة في القرآن مجردة عن البرهان . بل جاء باثبات حقيقتها البرهان العقلي جاراً مجاوراً لا ينفك عنها أبدَ الآبدين . **فقد أكد البيان الالهي أن قصة نوح وحي منه تعالى فانها فوق علم محمد وعلم قومه ﴿ ما كنتَ تعلمها أنتَ ولا قومُك من قبلِ هذا ﴾**[2] !! ومتى تنزل عليه هذا الخطاب !؟ إنه تنزل في مكة المكرمة قبلَ أن يؤمن به أحد من علماء أهل الكتاب ،

---

(١) سورة هود : ٤٩ .

(٢) انظر تفسير الآية في الجامع لأحكام القرآن ـ للقرطبي جـ ٩ ص ٤٩ وروح المعاني جـ ١٢ ص ٧٥ .

فتأمل سطوة البرهان ! !

أرأيت لو كان لكلام « واط » في زعمه أن الرسول وصحبه الأوائل تعلموا أخبار المرسلين وزادوا معلوماتهم تدريجيا من مجتمعهم ـ كما أفاد في النص الأول ـ لو كان لتقوله أدنى صلة بالواقع ، لقال له أصحابه والمشركون عند نزول الآية :

نحن قومك ونحن نعلم هذه الأخبار قبل نزولها ونحن أفدناك بها !؟ ولو كان في الأمر أدنى شيءٌ من ذلك لقالوا عند الجهاد : أنبذل أرواحنا في سبيل كذبة كذبناها ! !؟؟

ولكن حاشا الرسول وصحبه من زيف هذه التقولات الجانية وأمثالها ! !

ثم كيف يواصل الصحابة الإقامة على هذا الدين بإيمان راسخ متينٍ . متحمسين مستبسلين بالزوح والدم والمال للدفاع عنه ونشره بين العالمين لو لم يكونوا متيقنين أنه وحي الله بقصصه وبجميع ما جاء فيه ! !؟

رابعاً : حيرة القارئ بين جهل المستشرق وتحامله :

ان القارئ المثقف وقد لاحظ استشهاد المستشرق ببعض آية دون تمام معناها ، واغفالا تاما لآية ثانية تبين وجه الدليل صراحة على أن قصص المرسلين وحي الله تعالى الى رسوله محمد ﷺ . لابد أن يتساءل : إما أن يكون الاستاذ المستشرق يعلم بوجود هذه الآية في سورة هود أولا يعلم ! !؟ فان كان يعلم فأين الموضوعية والحياد النزيه !؟ بل أين البحث العلمي !؟ والمثقف المسلم سرعان ما يتذكر أن الله وبخ في القرآن أهل الكتاب لكتمانهم جوانب من

رسالة الله اليهم . وان الله تعالى قد وبخ بعض اليهود بقوله :

﴿ **أَفَتُؤمنونَ ببعضِ الكتابِ وتكفرونَ ببعضٍ . فما جزاءُ مَنْ يفعلُ ذلكَ منكم الا خزيٌ في الحياةِ الدنيا ويومَ القيامةِ يُردون الى أشدِّ العذابِ . وما اللهُ بغافلٍ عما تعملون . أولئك الذين اشتروا الحياةَ الدنيا بالآخرةِ فلا يُخففُ عنهم العذابُ ولا هم يُنصرون** ﴾[1]

فاذا علم القارئ أن الاستاذ المستشرق يمنح درجات الدكتوراه في الدراسات الاسلامية ثم قيل له : انه لا يعلم بوجود آية هود اطلاقا !؟ لم تأمن أن يجيبك القارئ : أليس عارا على العاقل أن يدعي علم ما لا يعلم .. !!؟

لقد أوقع هذا المستشرق القارئ في شك وحيرة ! فلا يستطيع أن يتقبل أي حكم يصدره فانه لا يدري ما أظهر وما أبطن وما أخفى وما أعلن .. كما لا يستطيع أن يحكم ما اذا كان المؤلف ــ وهو يصدر أحكاما بهذه الغزارة ــ عالما بجوانب المسائل التي يتحدث عنها ويكتم علمه فيها أم صدرت أحكامه عن حقدٍ وظلم وجهل !!؟؟ مما يثير في ذهن القارئ قول الشاعر العربي :

اذا كنت لا تدري فتلكَ مصيبةٌ : وانْ كنتَ تدري فالمصيبةُ أعظمُ

ان نقد هذا الكتاب « محمد في مكة » ــ وأمثاله ــ من شأن العلماء المختصين . وان المثقف الواعي لَيُعرض عنه . وقد أدرك يقينا بأنه كتاب ساقط من الاعتبار العلمي والأخلاقي !

---

(١) سورة البقرة . ٨٥ ٨٦ .

خامسا : تورط المستشرق في كذب مفضوح :

إن « واط » قد أهمل النظر في المشار اليه باسم الاشارة في قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ **ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك** ﴾[1] . ربما لم يتعمد اهماله ، لكنه لشدة ضعفه في اللغة العربية وقواعدها لم يعلم أنه لابد لاسم الاشارة في العربية من مشار اليه ، كما هو في كل اللغات ! !

ربما لا يؤثر هذا كثيرا في مكانة المستشرق ! لكن التساؤل الذي لا يمحى من الذهن : كيف زعم أن المسلمين يرون ــ وبالأحرى يعتقدون ، لأن المسألة هنا اعتقادية ــ أن الرسولَ وصحبَهُ اكتشفوا أخبار الأنبياء تدريجيا !؟

لماذا لم يعلن أن هذا استنتاجه شخصياً ! ! وهو ــ كما ترى ــ توهم محض ! **كيف تقول ــ المستشرق ــ على لسان المسلمين ما لم يقولوه ونسب إليهم مالم يعتقدوه ! ! بل إن عقيدتهم على خلافه تماما ! كيف وقد تقدم تعهده أن لا يعارض عقائد المسلمين الأساسية ! ! ؟؟ فأين البحث الموضوعي ؟ بل أين الصدق إذن ! ؟**

سادسا : سذاجة عنصرية لخدمة غرض استعماري عام :

ان تقوّل المستشرق « بأن العرب في الشرق لا يُميزون بين الواقعة المجردة ومغزاها في قصص القرآن وبأن الغربيين يميزون ذلك .. » ما هو الا ادعاء محض يحتاج الى دليل وتحديد مصدر فأين الدليل !؟ ان النظر في كتب التفسير القديمة والحديثة يظهر

---

(١) سورة آل عمران : ٤٤ وتقدمت المسألة تامة من قبل .

بطلان هذا الادعاء ! فهي تريك انعام نظر المفسرين في مغزى كل قصة في القرآن الكريم . وكذا المربون العلماء عُنوا بعظاتِ القصص القرآني وعبره في تربية ضمائر الناس وتهذيب نفوسهم . وأقرب مثال في مقامنا هذا ما استنبطه المفسرون من عظات بليغة من قصص سورة البروج . وتأمل النص الذي نقلناه عن الامام القرطبي منذ حين ! !

انطلق المستشرق في زعمه ذاك من خطة الاستشراق والاستعمار في تحطيم معنويات المسلمين بالاستخفاف بعقولهم ، لاشعارهم باحتقار الذات والزامهم عقد النقص . حتى أطلق الغربيون شعارهم : « الغرب غرب والشرق شرق » تجبراً وعجباً بتفوق العنصر الآري الغربي على العنصر السامي الشرقي . وهو زعم كاذب مغرور واحتيال مفضوح ، كشفت الدراسات الانسانية بطلانه وسخفه . وقد سبق القرآن العظيم الى تقرير المساواة في الامكانات بين جميع الشعوب ﴿ **يا أيها الناس إنَّا خلقناكم من ذكرٍ وأُنثى وجعلناكم شعوباً وقبائلَ لِتَعارفوا إنَّ اكرَمكم عندَ اللهِ أتقاكم إنَّ اللهَ عليمٌ خبير** ﴾[1] .

لعل لهذا المستشرق المسكين بعض العذر في تقولاته لجهله باللغة العربية . ولكن القارئ النابه يرفض ذلك معترضا : لماذا أقدم المستشرق على ابداء آراء خطيرة فيما يجهله وهو يعلم أنه يجهله !؟ وهو دين الهي مقدس عظيم ! ! وقد ارتقت به الانسانية رقيا

(١) سورة الحجرات ١٣ وراجع ص ٤٣ وانظر تفسير القرطبي ١٦٠ : ٣٤٨/٣٤٠ .

عاليا ! ! بل لماذا اتبع المستشرق في آرائه سبلا ملتوية غريبة عن العلم ومناهجه وأساليبه تحت ستار البحث العلمي الموضوعي الحيادي النزيه ! ! ؟؟

وهكذا فان المخدوعين أصحاب النية الطيبة من القراء والباحثين ، مهما حاولوا جاهدين أن يبرءوا ساحة هذا المستشرق وأضرابه . فانهم يعجزون عن التماس عذر يقبله أحد من المثقفين النابهين ! ! وهذه هي المشكلة القديمة الجديدة المستعصية في دراسة ذلك الاستشراق المغرض المتحامل ! !

من الممكن أن يكون المستشرق قد أصدر زعمه احتيالاً محبوكا بعناية زائدة في وقت مديد وبتجارب عملية على الطلاب المسلمين عنده لملاحظة ردود أفعالهم ومدى اختفاء أغراض البحث عن سرعة ملاحظتهم .. واذا افترضنا أن الأسلم أن لا يهتم بذلك ! فهل من سبيل يمنع القارئ المثقف ثقافة اسلامية قوية من ادانة « واط » ، مترعم المستشرقين ، بالتهور والجهل ! ! ؟؟

أساس هذه المناقشة :

إن مناقشة المستشرقين وأتباعهم – في تقولهم على رسول الله ﷺ بأنه تعلم من بشر– تقوم على أساسين وطيدين :

أولهما : أن الرسول ﷺ لم يتلق عن أحد من العلماء قبل النبوة ولا بعدها . وأن الذين لقيهم لم يتصل بهم صلة تمكنه من التلقي الوفير المجدي ، بل إنه لم يسمع ممن لقيهم قبل النبوة شيئا من هذه الأحاديث البتة . وأما الذين التقى بهم بعد النبوة وسمع منهم وسمعوا

منه كوفد نصارى نجران وبعض اليهود كعبد الله بن سلام . فقد التقوا به في المدينة ـ بعد ثلاث عشرة سنة من حمله أعباء الدعوة ـ ولم يكن منهم الا أن سألوه وأخذوا عنه وآمنوا به . فكان عليه الصلاة والسلام معلما لهم وواعظا ومنذرا ومبشرا . أضف الى ذلك أن كل لقاء لم يكن سرا مكتوما بل كان علنا مشهودا .

ثانيهما : أن تقرر هل الذي جاء به محمد ﷺ نظير ما كان عندهم أم لا ؟ **لا شك أن البون بين ما في الكتاب المقدس وبين القرآن شاسع** . وأن الفرق بيّن ظاهر . وسنبين ذلك فيما بعد باذن الله[1] .

لقد رأيت مما سبق أن المستشرقين الذين يخادعون الناس بدعوى الموضوعية والحياد في البحث لم يجاوزوا كلام المشركين قديما قيد أنملة .

فان محاولتهم طعن القرآن بتلك الخرافات الركيكة دليل على احساسهم بقصورهم وعجزهم عن النيل منه . لذلك زعموا أن مصدر العلم هو الجهل . وأن ينبوع النور هو الظلام . وأن شرك الجاهلية كان توحيداً ذائعاً بين العرب .. وأن التوحيد في الاسلام مصدره شرك الجاهلية وتثليث النصارى . فقد راموا اجتماع اليوم والأمس واستواء السها والشمس .

فدعهم يزعمون الصبح ليلاً : أيعمى الناظرون عن الضياء ؟

---

(١) انظر كتاب « بينات المعجزة الخالدة » ص ٤٠٢ ـ ٤١٤ .

أفتؤمنون ببعض الكتاب !؟

« جبريل هو ملك الوحي بالقرآن إلى رسول الله »

تكرم المؤلف الاستاذ على قارئه في مقدمة كتابه باعلانه عن وضع كتابه لفئة المؤرخين وأفاد بأنه ملتزم بحياد المؤرخ . إذنْ علينا أن نستطلع بعضَ النماذج من بحثه التاريخي !

إن المؤلف قد تعمد الاقتصار في الوحي على روايات الزهري . فجعل من مقاطع متفرقة بيانا واحدا عن الوحي . وترك الروايات الأخرى التي أعطت بيانا واحدا كاملا عن ظاهرة الوحي الأول الى محمد رسول الله ﷺ [١] .

أولا : لا ريب أن مثل هذا التلفيق ليس عملاً تاريخياً مقبولاً ، خاصة اذا كان مصحوبا بالاعراض عما سواه مما يبين نواحي مجملة فيه ، أو يذكر زيادة عليه تتم بيان الحدث بأكمله .

ثانيا : ان جميع النتائج التي بنيت على هذا التلفيق ساقطة من الاعتبار العلمي ، لأنها قامت على أساس فاسد غير صحيح .

ثالثا : تعمد المؤلف أهمال السند ، وابعد النجعة فزعم عدم جدوى دراسة السند ، اذ قال : « مهما يكن فلن يستفاد كثيرا من مناقشة الاسناد ، واقترح اعتبار دلالات الفقرات الداخلية ، وخصوصا دراسة ما يمكن أن يسمى : (المعالم) المتنوعة للأخبار » [٢] .

أضف الى ذلك أن الروايات التي لفقها مختلفة الأسانيد ، بل

---

(١) Mohammad At Mecca, 39 41

(٢) Mohammad At Mecca, 41-42

هي مختلفة الرواة أيضا . فبعضها عن السيدة عائشة رضي الله عنها وبعضها عن غيرها ..

ومعلوم لدى المثقفين المسلمين أن علماء الحديث قد عُنوا في منهج النقد في علوم الحديثِ بنقدِ كلٍ من السند والمتن بآن واحد ، استبانة للصحيح الثابت من الوقائع التاريخية ، وكشفا عن الضعيف والمغلوط والمكذوب من الروايات الواصلة الينا[١] .

رابعا : أدرج المؤلف في أشتات كلامه المضطرب عن سورة المدثر ، أدرج قولا غريبا ثم لم يعقب عليه اطلاقا بالقبول ولا بالرفض .. قال « واط » : « ونسمع في مكان آخر أنه قبل السنوات العشر في مكة حين نزل الوحي على محمد بواسطة جبرائيل . مضتْ ثلاث سنين كان الوحي ينزل فيها على يد اسرافيل »[٢] ثم عزا ذلك في الهامش الى تاريخ الطبري .

خامسا : ماذا يجب على المؤرخ أن يفعل اذا ذكر في كتابه روايتين متعارضتين ؟ فان متزعم المستشرقين « واط » ، ذكرت روايات الزهري وفيها اسم جبريل أكثر من مرة ! ! فأين ما وعد به المؤلف القارئ أن يكتب كمؤرخ بشكل موضوعي حيادي ؟ فأين الترجيح بين الروايتين !؟ وأين دلائل هذا الترجيح اذا كان المؤلف قادرا ـ كما يزعم ـ على البحث التاريخي العلمي الموضوعي ! ! ؟

هل سيحكم القارئ بأن الكاتب قد أراد بحثاً تاريخياً محققاً

---

(١) انظر منهج النقد في علوم الحديث ـ الدكتور نور الدين عتر ـ فقد أفاض في هذا مما لا داع لسرده هنا

(٢) Mohammad At Mecca, 48

مجرداً عن الأغراض الاستعمارية والكنسية !؟ أو أراد التشكيك لغاية في نفسه .

سادسا : اليك « تاريخ الرسل والملوك ـ لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري » فانه ذكر أولا في مطلع رواياته عن ظاهرة الوحي رواية الزهري عن عائشة ، وهي التي أفاد منها المستشرق « واط » . ثم راح الطبري يورد الروايات الأخرى فذكر رواية عن عبد الله بن شداد ، ثم ذكر رواية أخرى عن عبد الله بن الزبير وهكذا الى روايات كثيرة ، وليس في واحدة منها ذكر اسرافيل إطلاقاً[1] .

ثم بعد نحو مائتي صفحة وفي ختام أخبار الفترة المكية ، تحدث المؤرخ الجليل الطبري عن مدة اقامة رسول الله ﷺ في مكة بعد النبوة . فذكر روايات تنص على أنه أقام بها عشر سنين وروايات أنه أقام ثلاث عشرة سنة ، ثم وفق الطبري بين القولين ، وذلك باحتمال أن يكون أصحاب القول الأول عدوا مقامه بمكة من حين أتاه جبريل وأظهر الدعوة الى الله ، ولم يعدوا السنين الثلاث الأول لما بلغهم أن الدعوة كانت فيها سرية وأن اسرافيل كان صاحب الوحي فيها . أما الآخرون فاعتبروا مقامه ثلاث عشرة سنة من أول الوقت الذي أوحي اليه فيه .

سابعا : أقول : لم يذكر المستشرق هذا البيان حين ذكر رواية الوحي باسرافيل . وكان واجبا عليه أن يذكر هذا البيان أو أن يهمل الرواية بالكلية عند حديثه عن الوحي ، كما أهملها الطبري نفسه

---

(١) تاريخ الرسل والملوك جـ ٢ ص ٢٩٨/٣٠٩ .

لدى حديثه عن الوحي .

والاستاذ المستشرق « واط » يزعم في مقدمة كتابه أنه مؤرخ حيادي . فلما ذكر هذه الرواية **توجب عليه أن يلتزم منهج المؤرخين العلمي فينقل الأمر بأكمله ـ كما يفعل كل باحث منصف ـ فقد قرن الطبري رواية الوحي بواسطة اسرافيل بقول الواقدي** : « قال الواقدي : فذكرت ذلك لمحمد بن صالح بن دينار . فقال : والله يا ابن أخي لقد سمعت عبدالله بن أبي بكر بن حزم وعاصم بن عمر بن قتادة يحدثان في المسجد ورجل عراقي يقول لهما هذا . **فأنكراه جميعا . وقالا : ما سمعنا ولا علمنا الا أن جبريل هو الذي قرن به ، وكان يأتيه بالوحي من يوم أن نبيء الى أن توفي ﷺ** »[1] .

وهذا ما فعله محمد بن سعد في الطبقات الكبرى ، أذْ قال : « فذكرت هذا الحديث لمحمد بن عمر فقال : ليس يَعرف أهل العلم ببلدنا أن اسرافيل قُرن بالنبي ﷺ . وأن علماءهم وأهل السيرة منهم يقولون : لم يقرن به غير جبريل من حين أنزل عليه الى أن قبض ﷺ »[2] .

---

(١) تاريخ الرسل والملوك ـ لأبي جعفر محمد جرير الطبري جـ ٢ ص ٣٨٦,٣٨٧ .

(٢) الطبقات الكبرى جـ ١ ص ١٩١ . ومراد أهل العلم في رواية ابن سعد أن جبريل تفرد بالوحي بالقرآن بدلالة قولهم « لم يُقرن به غير جبريل .. » أما الوحي بغير القرآن بواسطة غير جبريل فقد ورد في مسائل يسيرة في كتب السنة ، معروفة عند أهل العلم . وقد خلط بعض الباحثين بين هذا وذاك لقلة خبرته بمذاهب المستشرقين . ولو علم الباحث أنهم يفرقون في المصدر بين القرآن والسنة لما تورط في قوله واعلم أن القرآن نص صراحة على أنه وحي الله بواسطة جبريل ﴿ **وإنه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين** ﴾ الشعراء : الآيات ١٩٢ ـ ١٩٥ ، وغيرها كثير . وان العلماء جميعاً قد نصوا في تعريف القرآن على أنه « وحي الله تعالى الى محمد ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام » فكيف يلتبس الأمر بعد هذا على باحث !؟

وهذا صنيع المحققين من مؤرخي الاسلام الاعلام ! وهذا منهجهم ! ذكروا الصواب ثم ذكروا قولا غير سليم وأبانوا خطأه . وهذا ترجيحهم : فالعلماء يعرفون رواية جبريل ، ويعرفون أن جبريل كان الملك الوحيد للوحي بالقرآن إلى محمد بن عبدالله ، وأن غيره لم يكلف بالوحي بالقرآن إطلاقا . فأسقطوا بذلك اعتبار الرواية العليلة التي شذتْ وخالفتْ الروايات الكثيرة الصحيحة سنداً ومتناً .

والآن يسأل القارئ « واط » متزعم الاستشراق : إذا رفضت دراسة الاسناد فأين منهجك في اعتبار المقاطع الداخلية للروايات !؟ وأين دراستك لما أسميته « معالم » الروايات المختلفة !؟

هل تضع المنهج لتعملَ به دائماً ؟ أمْ لموقع دون موقع ولمسألة دون غيرها !!؟؟ وهل يدخل كتمان الوثائق التاريخية في البحث التاريخي الحيادي أم في التحقيق العلمي الموضوعي !!؟؟ أم في ماذا !!؟؟ ما الوصف الحقيقي لهذا التصرف !؟ وهل أخذت معلوماتك عن كتب التاريخ العربية أم عمن اشتهروا بهذه النماذج من الصدق والأمانة والتحقيق !!؟؟

كيف يقبل من « واط » أن يُورد طرفا واحدا من قضية واحدة ويهمل طرفا آخر ، وكيف ساغ له فعل ذلك والكتابان اللذان نقل المسألة عنهما من مصادر التاريخ التي آثرها على كتب الحديث الصحيحة ، فأين يذهب !؟

ألم يأخذ على نفسه العهد في مقدمة كتابه ببحث موضوعي حيادي ؟ ألمْ يَرَ في تصرف أسلافٍ له من أهل الكتاب ما يكفي

للاتعاظ والاعتبار ﴿ **فبما نقضِهم ميثاقَهم لَعنّاهم وجعلنا قلوبَهم قاسيةً ، يُحرّفونَ الكَلِمَ عن مواضِعِهِ ونسوا حَظّاً مما ذُكِّروا بِهِ ، ولا تزالُ تَطَّلِعُ على خائنةٍ منهم الا قليلاً منهم . فاعفُ عنهم واصفحْ انَّ اللهَ يحبُ المحسنينَ** ﴾[1] .

هل العجيب أن يفعل المستشرقون هذا ! أم العجيب أن يتوهم البعض من أبناء المسلمين ؛ أن لديهم منهجاً علمياً حيادياً في البحث . فيذهبوا للافادة منه ! !؟؟ .

هل يرى الباحث أدنى تقاربٍ بين منهج المؤرخين المسلمين ومنهج المستشرقين !؟ أين الثُريا من الثرى !؟ .

هيمنةُ الوحي على محمد صلى الله عليه وسلم

إنَّ استطلاعك آنفاً تفاصيلَ ظاهرة الوحي وخصائصه أَلْقَتْ الثقةَ التامةَ في أعماقك بأن النبوة هبة ربانية . لا أثر لكسب العبد فيها ، وانما يهبها الله لمن يشاء من عباده دون سعي منه إليها ، اذ لا تجدي في استجلابها جهود ولا في دفعها مقاومة أو انصراف . وشواهد ذلك كثيرة متعاضدة الدلالة ، ذكرنا ـ من قبل ـ أهمها ولم نستقص سائرها .

إن ادراك هذه الحقيقة لا يحتاج إلى كبير فلسفة ولا الى غوص على فنون علم المنطق وبراهينه . بل تهدي العاقل إليها وقائع الوحي وحقائقه الثابتة في أهم الوثائق التاريخية الدينية ، في القرآن والحديث والسيرة .. وأنت لا تعجب اذا جحد ذلك امرؤ غارق في

---

(١) سورة المائدة ١٢ وانظر سورة البقرة : ٧٥ والنساء : ٤٦ والمائدة : ٤١ .

غياهب الجهل أو ملحد غافل عن المعارف اليقينية الاسلامية .
ولكنك سرعان ما تتملكك الدهشة اذا علمت أن امرءا يزعم أنه مؤرخ مؤمن موحد يبحث بحياد موضوعي قد أنكر هذه الحقيقة العظيمة البروز ، الشامخة الذرى ، في سيرة سيد الورى محمد عليه الصلاة والسلام .

قال « واط » « ومن المهم أن نعرف ما اذا كان لدى محمد أي طريقة لاستجلاب الوحي . ولا نستطيع التأكيد بأنه كان يضع فوقه الدثار لهذا الغرض . **وفي أغلب الاعتقاد أنَّ الوحيَ تنزل عليه في البداية بصورة غير متوقعة** ..

وعلى كل حال فمن المحتمل أنه قد طور أخيراً بعض الوسائل الفنية للاصغاء . ربما كان ذلك أثناء تلاوته القرآن متمهلا في الليل .

« مرة أخرى ، هذه الحقيقة ـ اذا كانت هي حقيقة ، ان محمداً كان أحياناً **يستحضر** تجاربه في الوحي بواسطة الاصغاء أو التنويم الذاتي أو أي اسم نحب أن نُسميه به ـ خارجة عن حكم رجل الدين بالصحة »[1] .

وسنكشف زيف مزاعم المستشرق في الردود التالية :

أولا : خصائص الوحي تلزم بالايمان بربانيته :

يبدو أن تلك الفكرة التي أنتجها « واط » جاءت تبعا لزعمه أن الوحي نتاج خيالي أو فكري لمحمدٍ ﷺ[2] ـ لذا وجد مساغاً

---

(١) Mohammad At Mecca, 57 58

(٢) Mohammad At Mecca, 52-57

ليزعم أنه يستثيره في نفسه بطريقة مفتعلة . فالوحي بالتالي ـ في زعمه ـ نتاج بشري . لكنه أقر بجلاء أنه لم يكن في البداية متكلفاً مصنوعاً ، فقد وافاه بصورة غير متوقعة . وهذا يثير استغرابا كبيراً لدى الباحث ! !؟ فما الذي ميَّز الوحي الأول عن غيره في هذا ! ولماذا لا يكون بعده تنزلات تتسم بنفس الوصف ترد الى محمد ﷺ على غير ترقب منه ! !؟؟ ثم هل جاءت حوادث السيرة وحقائق تاريخ الوحي بشبهة برهان على أنه كان بتعمل وكلفة !؟ **أم جاءت تثبت بدلائل اليقين أن جميع تنزلات الوحي كانت مستقلة تماما عن شخصية الرسول خارجة عن نطاق إرادته وتطلبه ومدافعته !؟ بل كانت مهيمنة على شخصيته وإرادته ونزوعه ! !**

لقد ذكرت مصادر السيرة أن الوحي كان يتنزل على الرسول الأمين ﷺ في أي ساعة من ليل أو نهار قائماً أو قاعدا أو مضطجعا ، واقفاً أو راكبا ، منفرداً أو بين أهله أو بين أصحابه في سفر أو حضر . ومَنْ تأمل حنايا السيرة وجد تفاصيل ذلك كله ! ! (١)

إن الوحي الالهي خارج عن تطلب الرسول واستجلابه . ويكفي ملاحظة دلالة فترة الوحي ، اذ انقطع عن الرسول مدة غير قليلة ، وهو في غاية التلهف للقائه . كما مكث النبي ﷺ شهرا لا يأتيه الوحي وهو أحرص ما يكون حينئذ على جواب يدفع به احراج تساؤلات اليهود . ولما اشتدت أشواق الرسول الى كثرة الوحي قال

---

(١) راجع خصائص الوحي ص ٦٣ ـ ٨٢ .

لجبريل « ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا . فنزلت الآية ﴿ وما نَتَنَزَّلُ إلا بأمرِ ربِّكَ له ما بين أَيْدينا وما خَلْفنا وما بين ذَلكَ وما كانَ ربُّكَ نَسِيّاً ﴾[1] .

ثانيا : تجاهل المستشرق أن مزاعمه الزائفة تطعن في اعتقاده بالوحي الى موسى وعيسى أيضاً :

قدم « واط » زعمه طعناً عاماً دون تحديد . فما « الاستماع الفني » الذي نسبه الى الرسول الكريم ؟ ما أوصافه ؟ وما أوصاف ما أسماه « التنويم الذاتي » ليرى الباحث إمكانه ومدى التوافق بينه وبين وقائع السيرة النبوية ! !

ولو زاوله أي انسان ؛ هل يثير فيه شيئاً يمكن أن يداني الوحي الى رسول الله عليه صلوات الله وسلامه ! !؟؟ وان القسيس « واط » لم يتعرض لذكر ما تُؤدي إليه مزاعمه في الوحي ، وهو كثرة ظهور الوحي وأنباء الغيب .. وسائر المعجزات العقلية والحسية[2] على كثير من الناس في كل زمان ومكان ، ما دام شيئا يمكن ـ في زعمه ـ أن يتكنفه أي انسان إذْ لا يتجاوز طاقاته البشرية ! !

ولماذا لم يعلن الدكتور القسيس أنه يقدر شخصياً أن يأتي بمثل ذلك ! !؟؟ وما الذي منعه أن يفعل على الرغم من تقادم الزمن على زعمه حتى بلغ من العمر أرذله ! !؟

---

(١) رواه الامام البخاري في صحيحه ـ كتاب التفسير ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما . والآية في سورة مريم : ٦٤

(٢) أنظر أقسام معجزاته ﷺ في كتابي . بينت المعجزة الخالدة ص ٥١ ـ ٧٧ .

ولماذا تجاهل القسيس « واط » أن ذلك الزعم الزائف يطعن في الوحي الى الرسولين الكريمين عيسى وموسى عليهما صلوات الله وسلامه ! !؟؟ وماذا يفعل « واط » بعد هذا بمسؤولياته الخاصة في الكنيسة ! !؟؟

ثالثا : اعراض المستشرق عن وثائق الوحي الثابتة :

لو نظرت في تفاصيل ظاهرة الوحي وخصائصه لوجدت حديث عمر بن الخطاب عن قدوم جبريل بصورة رجل الى رسول الله ﷺ ومسائلته وافادة الصحابة عن أركان الاسلام و لايمان وعلامات قيام الساعة ما كان الا صحواً بغير نوم وجلوساً بغير دثار ، وبدون سابق تلاوة أو تسمع فني مبتكر في عصر الأمية وجزيرتها !؟

وحديث عمر هذا صحيح تماما ، مروي في صحيحي البخاري ومسلم وغيرهما وأنت يا « واط » استشهدت بأحاديث من البخاري ، وجعلته من مصادرك في مقدمة الكتاب ، فلا يمنع من قبول هذا الحديث أمر علمي من داخل النص أو خارجه ! اللهم الا أن تلعب البواعث الاستشراقية دوراً سلبياً ههنا خاصة ! !

ومما يثير انتباه القارئ عدم ذكر المؤلف هذا الحديث الهام في الوحي ، بل عدم ذكره جميع تفاصيل ظاهرة الوحي التي أسلفنا بيانها – فيما عدا ما أشرنا اليه من روايات الزهري – ثم خوض المستشرق في تفسيرات للوحي كثيرة غير مبنية على أساس اطلاقا .. ولا يساعده على ايرادها شيء لو كان ذكر تفاصيل الوحي كما وردت في أوثق مصادر التاريخ ! ! فسبب اعراض المستشرق عن ذكرها

انما هو دلالاتها البليغة وبراهينها المفحمة التي تنسف تقولاته في اليم نسفا . ولم يكن هذا الاعراض اكثر من التزام المنهج الاستشراقي في الامانة العلمية وفي البحث الحيادي الموضوعي المعهود ! !

استطلع الآن وثيقة ثانية من وثائق الوحي الى رسول الله ﷺ : روى البخاري أن يعلى قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما : أرني النبي ﷺ حين يوحى اليه . قال : فبينما النبي ﷺ بالجِعْرانة ومعه نفر من أصحابه جاءه رجل فقال : يا رسول الله ! كيف ترى في رجل أحرم بعمرة وهو متضمخ بطيب . فسكت النبي ﷺ ساعة فجاءه الوحي . فأشار عمر رضي الله عنه الى يعلى فجاء يعلى وعلى رسول الله ﷺ ثوب قد أُظل به . فأَدخل رأسه ، فاذا رسول الله ﷺ مُحمر الوجه . وهو يغطُّ ثم سُرّي عنه . فقال : أين الذي سأل عن العمرة ، فأُتي برجل . فقال : اغسلِ الطيبَ الذي بك ثلاث مرات ، وانزعْ عنكَ الجبة ، واصنعْ في عمرتك كما تصنع في حَجتك[1] .

أفادتنا هذه الوثيقة الصريحة أن رسول الله ﷺ قد نزل عليه الوحي في سفر . فأين التحضير الذي تقوّله المستشرق « واط » !؟ أين اثارته بتلاوة متمهلة للقرآن ليلا !؟ وأين طريقة التسمع التقنية !؟ وأين اتخاذه الدثار !؟ بل كان الرسول في حالة عادية طبيعية تماماً في نفر من أصحابه في سفر . وسكت النبي ﷺ ساعة

---

(١) رواه البخاري ومسلم والنسائي ، واللفظ من صحيح البخاري ـ كتاب الحج ـ باب غسل الخلوق من الثياب . وعند مسلم في باب ما يباح للمحرم ، والنسائي في باب الخلوق للمحرم من كتاب الحج أيضا .

ولم يجب السائل على مسألته اليسيرة ﴿ **وما ينطقُ عن الهوى انْ هو إلا وحي يُوحىٰ** ﴾[1] .

ثم استطلع عناء زيد بن ثابت واحتماله . قال زيد بن ثابت : « **أَنزلَ اللهُ على رسوله وفخذُهُ على فخذي فثقُلَتْ حتى خفتُ أنْ تَرُضَ فخذي** »[2] . **وقالت عائشة رضي الله عنها** : « **وإنْ كان لَيُوحىٰ إليه على ناقته فتَضربَ جِرانَها . من ثِقَلِ ما يُوحىٰ اليه** »[3] .

هذه الوثائق من جملة الوثائق الكثيرة التي تكشف زيف تقول المستشرق وتغرضه في الإعراض عن إيرادها واستبانة دلالاتها ــ لو افترضت أنه بلغ في العلم رتبة الاطلاع عليها وفهمها ــ فقد تجلى لك بوضوح أن الوحي أمر الزامي غير مرتقب . وانك تجد ههنا دلائل اضافية تبين أن الوحي خارج عن ارادة محمد ﷺ ، مهيمن على ذاته ، فان هذه الاعراض الجسدية وآثارها على الغير لايمكن أن تُستجلب ولا أن تُدفع . ويزيد هذه الحقيقة جلاء سماع الرسول ﷺ صوتاً يبلغ آذان الجمهور حوله كَدويِّ النحل[4] . وهذا

---

(١) سورة النجم ٣ ٤ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه ــ تفسير سورة النساء .

(٣) رواه الامام احمد والبيهقي في الدلائل . و(الجران) : باطن العنق . انظر شرح المواهب ج ١ ص ٢٢٩ وتفسير ابن كثير ج ٤ ص ٤٣٥ وفتح الباري ج ١ ص ١٧

(٤) نص على ذلك حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ إذا أنزل الوحي يُسمعُ عند وجهه كدويّ النحل ، فأُنزل عليه يوم ، فمكثنا ساعة ثم سُرِّي عنه ، فقرأ : « قد أفلح المؤمنون ــ إلى عشر آيات منها من أولها » وقال : « من أقام هذه العشر آيات دخل الجنة . ثم استقبل القبلة ورفع يديه وقال : اللهم زدنا ولا تَنْقُصنا وأكرمنا ولا تُهنّا . وأعطنا ولا تحرمنا . وآثرنا ولا تؤثر علينا . اللهم أرضنا وارض عنا » أخرجه الترمذي بلفظه : كتاب التفسير ــ باب ومن سورة المؤمنين وأخرجه النسائي والامام احمد والحاكم وصححه .
وأنظر فتح الباري ج ١ ص ١٥ وشرح المواهب ج ١ ص ٢٢٩ وجامع الاصول ج ١١ حديث ٨٨٤٧ طبعة دمشق .

يكشف عن تغاير ظاهرة الوحي تغايراً تاماً عن اي تكلف شخصي كالتنويم الذاتي ونحوه . والحق أن المستشرق « واط » لو التزم جانب الانصاف لأعلن لدى اقراره بحصول الوحي الأول عن غير ترقب ـ أن الوحي الى محمد خارج عن ذاته وارادته وتطلعاته ، ولشهد أن محمداً رسول الله حقاً وصدقاً .

رابعاً : التنفير من علماء الاسلام من خطة المستشرقين في تضليل الناس :

دأب ذلك المستشرق على ايراد كلمة : رجل الدين Theologian في كل أمر يريد أن يرده زاعما عدم صحته . انما عني بها ـ حسب سياق كلامه ـ العالم الاسلامي المتمكن من علومه . ومن جملة ذلك زعمه : أن النبي ﷺ يستحضر الوحي بواسطة التنويم الذاتي ـ كما أسماه ـ وأن الحكم على زعمه هذا بالصواب أو الخطأ خارج عن اختصاص العالم الاسلامي المختص . لماذا جاز لمن زعم أنه مؤرخ أن يتطاول ويعطي لنفسه ـ بوقاحة ـ حق الوصاية على حقائق دين الله تعالى وعلى عقول علمائه ، تحت ستار البحث التاريخي ، ينكر ما ينكر ويضيف ما يريد ويطعن كما يهوى ، ويورد مزاعمه الباطلة جزافا بغير دليل على أنها حقائق وأن ما عداها باطل ! !؟؟ ثم يزعم أن ذاك اختصاصه فيجب قبول أحكامه فيه ! ومن أجل حماية مزاعمه من الفضح والتزييف . أوجب المستشرق على القاريء أن يرفض أقوال علماء الاسلام وتفسيراتهم ومناقشتهم العلمية المدعمة بالبراهين الساطعة والدلائل الدامغة على ما حصل في التاريخ حقيقة .

لماذا يجب رفض أقوال علماء الاسلام في هذه المواطن ! !؟؟
ألأنهم ساقوها مجردة عن الدلائل المعقولة ـ على طريقة المستشرق ـ أم لأن المستشرق عاجز عن الصمود أمام صولة الحق الذي يبينون !؟ أم لأن أبحاثهم ودلائلهم تنسف مزاعمه ومزاعم أضرابه فتجعلها هباء منثورا ! !؟

هل أنت في القرون الوسطى حيث حجر رجال الكنيسة على العقول وكمموا الأفواه عن قول الحق والدفاع عن الحقيقة !؟ لقد زعموا أن لتلك الأبحاث أسرارا خاصة بهم ، فهل تريد أن تعود ـ من داخل كنيستك ـ بالمجتمع الانساني الى تلك القرون القاتمة !؟

ان الانسان المعاصر المثقف الواعي يزن المسائل بميزان الحق والمنطق السليم ، فما كان صوابا أخذ به ، وما كان غير ذلك ضرب به عرض الحائط . واذا كانت أساليب المخادعة تنطلي زمناً فانها سرعان ما تنفضح .. واذا خدعت بها أُناساً بسطاء لا علم لديهم فان العلماء والعقلاء ينتبهون لها وينبذونها ..

ان القارئ النبيه يطل على المستشرق يطالبه : طالما عجزت عن نقض حقائق الوحي التي تمسك بها علماء الاسلام كما دلت عليها النصوص صراحة فأنت مطالب أن تورد ـ على الأقل ـ أدلة على صحة كلامك ! ! فأين هي الأدلة المقنعة على عدم بطلان مزاعمك !؟

ان مزاعمك الزائفة المغرضة تتزاحم في صفحات الكتاب الصغير . والذي يسمع بها يعجب كيف وجدت لها مستقراً في هذا

الزحام !؟ فاذا اطلع بنفسه على طريقة إيرادها ، ووجدها عارية عن الأدلة ، شاذة عن أي أسلوب علمي مقبول .. تلاشي عجبه وثار تساؤله :

لماذا أرسل ـ « واط » ـ مزاعمه هكذا سبهللا !؟

أقول : بناء على طريقة الاحتمالات ؛ وبالاحرى حيلة الإحتمالات ؛ التي اعتمدها المؤلف في كتابه ؛ يتمكن كل قارئ لبيب أن يرد على المؤلف بقوله :

يحتمل أن يكون المستشرق جاهلا بهذه الموضوعات جهلاً مطبقا ، ويحتمل أن يكون اطلع عليها وعجز عن فهمها !!

ويحتمل أنه **استحال** عليه أن يحيك شيئا من البراهين ليدافع به الخلط والخبط عن تفكيره ونهجه !!

أجل يستحيل عليه وعلى غيره الى الأبد أن يورد أدلة معقولة مقبولة على ما يخالف الحقائق الاسلامية . ذاكم هو التحدي الكبير !! ذاكم من براهين الحق المبين !! ﴿ بل نقذفُ بالحقِّ على الباطلِ فيدمَغُهُ فاذا هو زاهقٌ ولكمُ الويلُ مما تصفون ﴾[1] .

زعمهم أن القرآن من إلهام الرسول الذاتي

ذهب المستشرقون وملاحدة العصر إلى رأي جديد ـ في نظرهم ـ فهم يُسلِّمونَ بأن محمداً صادق عاش حياة مستقيمة شريفة عفيفة . زهد في الدنيا واستعلى على مطامعها وشهواتها .

---

(١) سورة الأنبياء : ١٨ .

ويزعمون أنه لما رأى الناس في فساد . ورأى نفسه قد علم ما لم يعلموا . وأدرك ما قصرت نفوسهم عن إدراكه . فخُيل اليه أنه مرسل اليهم من الله تعالى لاصلاحهم قال المستشرق اليهودي المجري (جولد تسهر) :

« ففي مكة كان (أي محمد) يشعر أنه نبي يتمم برسالته سلسلة رسل التوراة وأن لهذا عليه مثل . أولئك الرسل . أن يقوم بانذار أمثاله في الانسانية وانقاذهم من الضلال » .

ثم قال : « ففي العصر المكي جاءت المواعظ التي قدم فيها محمد الصور التي أوحتها اليه حميته الملتهبة في شكل وهمي خيالي حاد تلقائي ذاتي .. بل يظهر لجموع معارضيه ومناقضيه العقيدة السائدة في نفسه . عن قوة الله خالق العالم وربه وسلطانه غير المحدود . وعن اقتراب يوم الحساب الذي يتمثله ويراه في الرؤى الوحيية فينتزعه من راحته انتزاعا » .

ثم يعمم حكمه على الرسل جميعا فيزعم أن « الرسالة التي يأتون بها بدافع **ادراكهم المباشر**، وكذلك المعارف الدينية التي يوقظونها »[1] .

والى مثل هذه المزاعم ذهب درمنغام . فرأى ان محمدا كان مستاء من أوضاع قومه وأصنامهم وخرافاتهم . وأنه اطلع على النصرانية واليهودية ، وعرف أن الله يبعث للاقوام كلها ضلوا رسولا ينقذهم . ثم قال : « ووجد في وحدة غار حراء مسرة تزداد كل

---

(١) أنظر العقيدة والشريعة لجولد تسهر معرب ص ١٩ و٢١ و٧٧ طبعة ثانية دار الكتب الحديثة ــ مصر .

يوم عمقا ، وجعل يقضي الاسابيع ومعه قليل من الزاد ، وروحه تزداد بالصوم والسهر والادمان على تقليب فكرته صقالا وحدة ، ونسي الليل والنهار والحلم واليقظة .. وجعل يقضي الساعات الطوال جاثيا في الغار أو مستلقيا في الشمس أو سائرا بخطوات واسعة في طرق الصحراء الحجرية . وكأنه يسمع الأصوات تخرج من خلال احجارها تناديه مؤمنة برسالته . وقضي ستة أشهر في هذه الحال حتى خشي على نفسه عاقبة أمره .. وفيما هو يوما نائم في الغار جاءه ملك فقال اقرأ ..)[1] .

نبدأ المناقشة بتمحيص الاقوال الواردة ، لنعرف هل هي صحيحة نقلا وعقلا ؟ أم هي باطلة مرفوضة عقلا ؟

تعال معي نُنَقب بطونَ كتب الحديث ، بل السيرة والتاريخ أيضا ، لترى هل ورد فيها شيءٌ من تلك الحوادث التي زعمها هذا المخلوق ! !

صحة نفسية وعصبية وافرة مدى العمر :

ستجد أن الرسول قد خلا بنفسه في غار حراء يتعبد كما ورد في الأحاديث الثابتة في الصحيحين وغيرهما . لكنك بعد أن تجوب بنظرك آفاق المراجع لترى هل نسي محمد الليل والنهار والحلم واليقظة وقضي الساعات الطوال جاثياً في الغار أو مستلقيا في الشمس وأنه بقي ستة أشهر كذلك . لو فتشت عن مثل هذا لارتد اليك طرفك خائبا يائسا ، ولقذفت أمواج فؤادك الغثاء الذي قاءته عقلية الرجل

---

(١) الوحي المحمدي رشيد رضا ص ٨١ طبعة خمسة ـ مطبعة صبيح وأولاده .

الفرنسي (درمنغام) أو غيره . دون أن يأبه ما اذا كان لادعائه بعض الصلة بالحقيقة أم لا .. لقد استفرغ جهده لحبك للناس أسطورة توهمهم أن محمداً قد خارت ـ في الغار ـ قواه العقلية والعصبية والنفسية . وسيطرت عليه الهواجس والخيالات والاوهام نحوا من ستة أشهر ـ حسب زعمه ـ فأدخل ذلك في روعه أنه غدا رسولا من الله . ولكنك تعلم أن الذي يقع فريسة تلك الحال المرضية المزعومة . لا يعقل أن يصدر عنه الحديث عن الالهيات والنبوات في أسمى صورها ولا التشريعات الناجعة لحل أعتى مشاكل الحياة . ولا ذلك الذكر الحكيم بأسلوبه الأخاذ البليغ المعجز .. فأين يذهبون .. !؟

هذا تاريخ الأدب العالمي برمته فتشه بدقة وحصافة . هل تجد فيه أديبا أُصيب ببعض ما نسبه هذا الحاقد (درمنغام) وأمثاله الى رسول الله ﷺ زوراً وبهتاناً . ثم أنتج ذاك الأديب في خياله وهوسه نصاً أدبياً مقبولا ! !؟؟ فكيف يتوهم العاقل ذلك في صدور كتاب الاعجاز الخالد الذي قعدت همُمُ أذكى الأذكياء من البلغاء والفصحاء والعلماء عن معارضته ! !؟؟ بل كيف يستسيغ عاقل سليم القلب أن يتهرب من الاقرار بأن القرآن العظيم تنزيل من الله العزيز الحكيم ! !؟؟

لذلك فما عليك الا أنْ تضرب عن ذكر مزاعمه اعراضا . فهي زائفة عقلا باطلة نقلا . وازْنُ بفؤادك وعقلك الى أصح ما ورد بهذا الصدد وهو ما رواه البخاري ومسلم . وقد ذكرنا لفظ البخاري في مطلع هذا الباب . وعليك أن تنتبه دائماً الى أن المستشرقين يشوهون

الأقوال والحوادث أو يختلقونها . ثم يقدمون مزاعمهم تلك على أنها وثائق علمية لا جدال فيها . مع أنها مفتراة لا صحة لها ، فلا يتقبلها أحد الا الجهلة والسفهاء والمخدوعون[1] .

والجنون والعبقرية لا يجتمعان :

ومضي المستشرقون يقلبون الرأي ، فزعموا أن محمدا رجل عبقري ازدادت أفكاره حدة وصقالاً بعزلته .

فاذا كان الحديث عن العقيدة والتشريع صادرا عن نبوغه ، فلماذا لم يحدث الناس عن شيءٍ من ذلك طيلة الأربعين سنة السالفة من عمره !؟ ولماذا لم ينقل لنا التاريخ عنه أنه قد أبدى بعض أفكاره الاصلاحية لقومه قبل .. ؟

والحقيقة أن محمداً لم يستشرف النبوة ، ولم يتطلع اليها ، ولم يطمح ذات يوم فيها . فهل حديثه بهذا الأمر الجلل الخطير مرة واحدة دون تمهيد دليل على صدوره عن فكره اللامع ، أم هو دليل على أن شيئا لم يكن لديه عهد به . قد جاءه وأُمر بتبليغه ، وأنه ليس إلا وحيا أوحاه الله اليه !!؟

لقد حار المستشرقون في نبوة محمد ﷺ حيرة الجاهلين ، أينسبون القرآن والوحي الى غيره فيزعمون بأنه تلقفه من هنا وهناك ـ كما رأيت مزعمهم قبل ـ أم يردونه الى ذات محمد وشخصه فيزعمون أن ما جاء به نتاج الفكر العميق والمشاعر المرهفة فهو **شاعر أو كاهن ﴿ فلا أُقسمُ بما تُبصرون وما لا تُبصرون . إنه لَقولُ رسولٍ**

(١) وقد كشفت ذلك في فصول من « الاحرف السبعة في القرآن » .

كريمٍ وما هو بقولِ شاعرٍ قليلاً ما تُؤمنون ولا بقولِ كاهنٍ قليلاً ما تذكّرون . تنزيلٌ من رب العالمين ﴾[1] .

وكما زعم (درمنغام) أن محمداً قد قلّب أفكاره حتى زادها حدة وصقالا ، زعم (جولد تسهر) أن رسالات الرسل إنما هي حصيلة إدراكهم المباشر ومعارفهم الدينية التي حفظوها حين أهملها الناس وغفلوا عنها .

ما الرسول ـ في نظر المستشرقين ـ إلا متعلم مفكر . فأي فرق بينهم وبين الجاهليين في هذه المسألة ؟ ويصورون الرسول الى جانب كونه متعلماً مفكراً انه رجل الرؤى والأوهام والخيالات التي ملكت عليه نفسه فصورت له يوم الحساب وانتزعته من راحته انتزاعا وصورت له قدرة الله وحكمته حتى توهم بأنه يتلقى خطاب ملك الوحي فيبلغه بأنه رسول الله .. فهذا هو الوحي النفسي ..

لو أعْمَلتَ فكرك بتجرد أَتحكمُ على رجل تتراءى له الأخيلة وتدخل نفسه الأوهام أنه انسان عاقل ؟ أم تحكم بأن في عقله لُوثةٌ إنْ لمْ تقلْ إنه مجنون ؟

كذلك قال المستشرقون كقول المشركين قبلهم .. تشابهت قلوبهم المريضة ونفوسهم المتجبرة . فزعموا ، تخلصا من الحقيقة ، اجتماع عم الفكر وقوة الذهن مع الجنون والخبال في امرئ واحد **﴿ أنّي لهمُ الذكرى وقد جاءهم رسولٌ مبينٌ ثم تَوَلَّوْا عنه وقالوا معلَّم مجنون .. ؟؟ ﴾**[2] .

---

(١) سورة الحاقة : ٣٨ ـ ٤٢ .
(٢) سورة الدخان : ١٤/١٣

ولو نظرت في الشريعة الاسلامية وما فيها من حكم ومواعظ وأحكام تشريعية سامية وأخلاق رفيعة لأثار فيك ذلك تساؤلا : هل يصدر كل ذلك التعقل والحكمة عن الجنون واختلال المشاعر .؟ ومتى كان الجنون منبع الحكمة . والفساد مصدر الخير؟

ثم انظر في سيرة سيد الخلق محمد ﷺ . هل تراه كان مبتلى بالغفلة والبلاهة فيتراءى له ما يتراءى ؟ أم تراه بنىٰ مجتمعا قويا على دعائم وطيدة ، وقاد معارك النصر والظفر . وأسس دولة عظيمة على أسس منيعة منحتها قوة للاتساع بعده من جبال الصين شرقا الى حدود فرنسا غربا ؟ ان محمدا وكافة الرسل قبله ، قد اشتهروا بالتعقل والنباهة والفطنة قبل النبوة وبعدها . يعترف لهم بهذا أتباعهم وأعداؤهم على السواء .

وهنا تتيقن أن مثله في نباهته ويقظته وذكائه لا تختلط عليه الأمور ولا تغلبه الأوهام والهواجس .

مشاكلة دعوى المستشرقين في الوحي النفسي دعوى المشركين :

ولعلك يلج بك العقل فيأبى التسليم بأن دعوى المستشرقين في الوحي النفسي مشاكلة اتهام المشركين الرسول بالجنون .

فاليك ما زعمته قريش على لسان عتبة بن ربيعة مرة وعلى لسان جماعة منهم مرة أخرى . هاهو ذا سيد من قريش : عتبة بن ربيعة . يتوسط بين رسول الله وبينهم لاصلاح ذات البين . فيعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها ، فيقول : يا ابن أخي ان كنت انما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى

تكون أكثرنا مالا . وان كنت انما تريد به شرفا سوّدناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك . وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا . وان كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه ولا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه . فانه ربما غلب التابع على الرجل حتي يدواى منه .. فقال رسول الله : « أو قد فرغت يا أبا الوليد ؟ » قال : نعم . قال : « فاستمع مني » قال : أفعل . فقرأ عليه رسول الله ﷺ آيات من أول سورة فصلت .. [1] .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ حم . تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب فُصِّلتْ آياتُهُ قرآنا عربيا لقومٍ يعلمون ، بشيراً ونذيرا فأعرضَ أكثرُهم فهم لا يسمعون ﴾ [2] .

ثم مضى رسول الله ﷺ فيها وهو يقرؤها عليه فلما سمع عتبة أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليها يستمع منه حتى انتهى رسول لله ﷺ الى السجدة منها فسجد . ثم قال : « قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك » فقام عتبة الى اصحابه فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به . فلما جلس اليهم قالوا : ما وراءَكَ يا أبا الوليد ؟ قال : ورائي أني سمعتُ قولاً والله ما سمعتُ مثله قط . والله ما هو

(١) أنظر سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣١٣ ـ ٣١٥ تحقيق محي الدين عبد الحميد طبع المكتبة التجارية الكبرى ـ مصر . وانظر في ذلك ما رواه الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٦٢ ٦٣ .

(٢) سورة فصلت ١ ـ ٤

بالسحر ولا بالشعر ولا بالكهانة . يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها لي ، خلوا بين الرجل وبين ماهو فيه فاعتزلوه . فوالله ليكوننَّ لقوله الذي سمعت نبأ ، فانْ تُصبه العربُ فقد كُفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد به . قالوا : سحرك والله أبا الوليد بلسانه . قال : هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم .

وقد روى الحافظان البزّار وأبو يعلي الحادثة نفسها على غير هذا النمط ، غير أن سياق ابن اسحاق أشبه مما عندهما ــ كما قال ابن كثير ــ والله أعلم[1] .

وهكذا ترى أن المشركين يزعمون أن بعض الجن يتراءى له فيوهمه أنه رسول . وأن المستشرقين لم يبعدوا النجعة عن قولهم . والظاهر أنهم قد ولدوا رأيهم من رأيهم ولم يختلفوا عنهم بشيءٍ ، فهؤلاء عبروا حسب مفاهيمهم « الوحي النفسي والرؤى والخيالات » وأولئك عبروا وفق مفاهيمهم أيضا « الجن والشياطين » وكانوا يسمون التابع من الجن (رَئِيًّا) . وقد ألزمهم الله الحجة بقوله :

﴿ وما تنزلتْ به الشياطينُ . وما ينبغي لهم وما يستطيعونَ . إنهم عن السمعِ لَمعزولون .. هل أُنبئكم على مَنْ تَنَزلُ الشياطين ؟ تَنَزَّلُ على كل أفاكٍ أثيم ﴾[2] .

انه ليمتنع ويستحيل على الشياطين أن تأتي بمثله . فانه لا ينبغي

---

(١) تفسير ابن كثير : جـ ٤ ص ٩٠ ٩١ .
(٢) انظر تمام الآيات في الشعراء : ٢١٠ ــ ٢٢٢ .

لهم . وانهم لا يبتغونه ولا يتطلبونه لان سجاياهم الفساد واضلال العباد . وفي هذا القرآن أمر بالمعروف والخير ونهى عن المنكر والشر . وهو هدى وايمان ونور وشفاء لما في الصدور . وانهم ممنوعون محجوبون عن الاستماع لما يُوحيه الله الى عباده المرسلين[١] . ومحمد معروف خلقا وفضيلة ، وأدبا وصدقا واحسانا . والشياطين تغاير صفاتهم صفاته فكيف يألفونه . والجنس إنما يألفه الجنس .. ؟

ولو كان هذا الذي يقوله محمد صادرا عنهم لاحتوى مديحهم والثناء عليهم واعلاء شأنهم . بينما لو أجلت الطرف في آيات القرآن لوجدت فيها غضبا عليهم ولعنا كبيرا . وتجهيلا وتكذيبا لهم وكشفا عن ضعفهم . وأنهم ليس لهم على الذين آمنوا سلطان[٢] .

تبين لك مما ذكرنا أن المستشرقين أطلقوا ـ أحيانا ـ مزاعمهم تكرارا مملولا سخيفا لترهات الجاهلية واغترفوا بعضها من غير تثبت ولا روية . وغيروه حسب أهوائهم في أحيان أخرى . فجاءت مزاعمهم سمجة ممجوجة يأباها العقل . وقد رأيت ما نقضها من أساسها .

لقد دأب المستشرقون على تنميق الكلام وتزويقه ودعوى التزام قواعد البحث العلمي .. ثم تراهم أمام المسائل الاسلامية ـ والأساسية منها خاصة ـ يزعمون ويزعمون .. يفترون ويختلقون ..

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٣٤٩ وما بعدها

(٢) قال تعالى : ﴿ **وإذا قرأتَ القرآنَ فاستعذْ بالله منَ الشيطانِ الرجيم . إنه ليس له سلطانٌ على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون . إنما سلطانُهُ على الذين يَتولونَهُ والذين هم به مشركون** ﴾ سورة النحل : ٩٨ ـ ١٠٠ .

لعل ذاك الركام الوفير الهائل من الأضاليل والمفتريات يشوش الاذهان ، ويعرقل زحف الدعوة الظافر في الشعوب فيطمس معالم الحقيقة ويطفئ شعلة الهداية . أو يخمد جذوة حماس المؤمنين بالله المكافحين لاحقاق الحق وازهاق الباطل . ولا تلبث بشيء من التفكر والأناة في مطالعة الحقائق من مصادرها ، أن تستبين وجه الحقيقة الناصع فتطوح بتلك الآراء المغرضة الهدامة ، فتصبح أثرا بعد عين .

﴿ بلْ نَقذفُ بالحقِّ على الباطِلِ فيدمَغُهُ فاذا هو زاهقٌ ولكمُ الويلُ مما تَصِفُون ﴾[1] .

---

(١) سورة الأنبياء : ١٨ .

الخاتمة

توصيات ومقترحات

أولا : العناية بالرد على المستشرقين المغرضين : وأن يكون ذلك مشتملا على ما يلي :

(أ) كشف فساد مزاعمهم وابطال تقولاتهم على النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم . وعلى الشريعة الاسلامية كافة ، واظهار تحاملهم .

(ب) كشف أغراضهم ودوافعهم وفساد مناهجهم والتواء أساليبهم .

(جـ) ألا يقتصر الباحثون على سرد مزاعمهم ثم تسليط الردود عليها ، بل ينبغي أن تُعطىٰ الصورة الصحيحة عن البحث بكتابة مستقلة ، وتلحق بها الردود على تخرصاتهم في ذلك البحث . وهذا ما عمدنا اليه في كتابنا هذا .

ثانيا : ان خطة الغرب في اشغال الشرق بنفسه والتسبب في تضعضع أحواله الثقافية وغيرها **يجب ألا تجعل الباحثين في موقف الدفاع فحسب ، بل عليهم أن يشنوا الغارة على الغرب** في عقائده الزائفة ومدنيته الجائرة وسياساته الاستعمارية المتسلطة ومفاهيمه الاخلاقية المنحرفة . ويدخل في هذا مناقشة المستشرقين وغيرهم

وكشف زيف عقائدهم اليهودية والنصرانية والالحادية ! ! فالهجوم عليهم وجعلهم في موقف الدفاع أمر هام .

ثالثا : دعم المستشرقين المسلمين الصالحين ماديا ومعنويا . وتنشيط نشر كتبهم . ومداولتهم فيما يتخذونه من آراء وعقد مؤتمرات تخصهم وتخص حركتهم الفكرية وحالة الاسلام عامة في الغرب . وهو في رأينا من أهم عوامل نشر الاسلام في الغرب . فان هؤلاء أدرى بمنطقه ومؤثراته !.

رابعا : افتتاح دورات دراسية اسلامية خاصة بالمستشرقين في إحدى الجامعات السعودية . وتشجيعهم على التزامها بالاساليب المناسبة . فلعل ذلك يقوّم من اعوجاج آراء الخاطئين منهم ويزيد الله به الذين اهتدوا هدى . ولا ننسى أن أبناء الشعوب الاسلامية يحصلون على درجة الدكتوراه من هؤلاء . فالعناية بثقافتهم وتصويب آرائهم عناية بسلامة الفكر الاسلامي فيمن ينال الدرجات العلمية منهم .

خامسا : ولا يجوز شرعا تلقي العلم الاسلامي عن غير المؤمنين . وواجب البلاد الاسلامية أن تمتنع عن ارسال أولادها لنيل الشهادات الاسلامية من المستشرقين غير المسلمين . **بل على الهيئات العلمية الاسلامية أن ترسل بعض العلماء للمدارسة والمناقشة وتقديم التآليف في ذلك الى هذه الهيئات العلمية الاسلامية لتتولى ـ دون غيرها ـ توجيهها وتقييمها** . ولتكون الصلة بالمستشرقين صلة باحث بباحث لا صلة تلميذ مفتقر الى الشهادة من أستاذ يمنح هذه الشهادة العلمية !.

سادسا : ان مشكلة الجهل باللغة العربية تحمل أبناء المسلمين غير العرب على التوجه الى الغرب للدراسة الاسلامية ويمكن حل هذه المشكلة باحدى طريقتين :

أولاهما : تدريس العلوم الاسلامية باللغة الأجنبية .

ثانيهما : تعليم هؤلاء الشباب اللغة العربية في دورات تؤهلهم لمتابعة الدراسة العليا في الجامعات الاسلامية .

ولابد من افتتاح معاهد عليا لهذا الغرض بعد دراسة وافية عن الطريقة المناسبة .

سابعا : ترجمة أوثق كتب السيرة القديمة والمعاصرة الى أشهر اللغات العالمية ، لتقف سداً منيعاً أمام التخرصات ، اذ يكون بمقدور جماهير المثقفين الاطلاع على الصورة الواقعية لسيد المرسلين فتنجذب قلوبهم الى حبه وحب رسالته . ولا يغيب عن بال عالم أن كتاب السيرة الوثيق من أفضل أساليب الدعوة الاسلامية في كل زمان ومكان .

ثامنا : ان المجتمع الاسلامي المعاصر بعربه وعجمه بحاجة الى كتاب سيرة جديد يبين أموراً أساسية بالاضافة الى ما درجت على تبيانه كتب السيرة . وتلك في نظرنا كما يلي :

١ ـ تبيان حالة العالم قبل الاسلام . وما كانت عليه الأمم من فساد في الأديان والأخلاق والأنظمة الاجتماعية .. فقد انقطع الأمل من كل مصدر بشري لانقاذ الإنسانية . ليبين هذا للقارئ أن بعثة الرسول الكريم محمد عليه الصلاة والسلام انقاذ من الله للانسانية من الظلمات الى النور .

٢ ـ المقارنة والموازنة بين صفات العرب يومئذ وبين صفات شعوب العالم . وتبيان ظروف كل منهما .. لتتضح حكمة الله البالغة في اختيار العرب لحمل خاتمة رسالاته .

٣ ـ أن يظهر الكاتب من خلال جميع أبحاث السيرة صفات صاحب السيرة الحميدة وبخاصة الرئيسية منها وهي أنه نبي الله ورسوله . وأنه صلوات الله عليه قدوة للانسانية في جميع تصرفاته وآدابه . فالسمة الأساسية للبحث أنه سيرة رسول من الله رب العالمين فليست سيرة صاحب « عبقرية » ولا سيرة « قائد عربي » انه رسول الله حقا وصدقا وليس « رسول الحرية » فعلى الباحث أن يبذل قصارى جهده وغاية براعته في تجلية معالم هذه الخصيصة الاساسية في كافة جوانب بحثه .

٤ ـ ابراز وجوه حاجة الانسانية قديما وحديثا الى رسالته والى الاقتداء به والاهتداء بهديه .

٥ ـ خلود رسالته ﷺ وعمومها للبشرية جمعاء وتساوي شعوبها في توجيه الخطاب الالهي اليها . وفي ترتب المسؤولية عن هذه الرسالة .

٦ ـ تبيان مناحي ظاهرة الوحي ؛ وفقاً للكتاب والثابت من سنة النبي الكريم وسيرته ؛ وسلامتها من توهم الواهمين وتخرص الطاغين الحاقدين المغرضين .

٧ ـ ان أفعال الرسول الموفقة ونصره المؤزر انما تم بتأييد الهي يمنحه الله لعباده المرسلين ، فهي من معالم نبوته ﷺ ، وهي تغاير تماماً العبقرية البشرية والبراعة الشخصية .

٨ ـ إن الله تعالى أيده بدلائل الحق وبراهين الصدق من معجزات حسية ومعجزات عقلية وبشارات كتابية في الكتب السماوية السابقة[1] . ويحسن ههنا أن يشتمل كتاب السيرة على أهم الردود على منكري المعجزات المادية لسيدنا محمد ﷺ من مستشرقين ومتابعين .

تاسعا : أن لا يقتصر الباحث في السيرة على المواضيع والحوادث التي أوردتها كتب السيرة . بل عليه أن يستقي من القرآن والسنة وكتب التفسير والحديث والسيرة والعقيدة جميع الوثائق والبيانات والمعلومات التي تتصل بشخص محمد ﷺ وسيرته الاجتماعية والعائلية وتلقي ضوءا على نبوته وحقية رسالته .

وقد حظي بكثير من هذه المزايا كتاب الاستاذ العلامة الشيخ الدكتور محمد محمد أبو شهبة رحمه الله وكتاب الاستاذ العلامة الداعية الشيخ أبو الحسن الندوي حفظه الله وكلاهما بعنوان : « السيرة النبوية » .

عاشرا : ان يقوم الكتاب الاسلاميون الناقدون للاستشراق والمسؤولون عن المؤسسات العلمية الاسلامية **بمطالبة كل مستشرق يبحث في السيرة النبوية بحثاً مغرضاً أن يقدم منهجه في نقد الأخبار في مختلف أحوالها من اتفاق وتعارض واتصال وانقطاع ..الخ** ليكون ذلك محور ارتكاز في نقاش المستشرقين ، كما يكون صمام انضباط لهم لدى رغبتهم ارسال الآراء المسمومة في مقالاتهم سبهللا !

---

(١) أنظر كتابينا : « نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن » ص ٢٣٥ ـ ٢٤٧ وص ٢٩٩ ـ ٣٣٨ و « بينات المعجزة الخالدة » ص ٥٢ ـ ٩٠ .

ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم. واغفر لنا إنك أنتَ الغفورُ الرحيم. وصلى الله على سيدنا محمدٍ خاتمِ المرسلينَ وعلى آله وصحبه والهادين بهديه الى يوم الدين.

المراجـع

(أ) القرآن الكريم وعلومه :

القرآن الكريم كتاب الله تبارك وتعالى .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ـ محمد بن جرير الطبري ـ طبعة مصطفى البابي الحلبي الثانية وطبعة دار المعارف ـ مصر .

مفاتيح الغيب ـ المشهور بالتفسير الكبير ـ الفخر الرازي ـ ط . عبدالرحمن محمد ـ مصر

البحر المحيط ـ محمد بن حيان الاندلسي ـ مطبعة السعادة ـ مصر .

الجامع لأحكام القرآن ـ محمد بن احمد الانصاري القرطبي ـ ط . دار الكتب المصرية .

تفسير القرآن العظيم ـ عماد الدين بن كثير ـ طبع عيسي البابي الحلبي ـ مصر .

أنوار التنزيل وأسرار التأويل ـ عبد الله بن عمر البيضاوي ـ مكتبة الجمهورية ـ مصر .

روح المعاني ـ محمود الألوسي ـ الطبعة المنيرية الأولى ـ مصر .

المفردات في غريب القرآن ـ الراغب الأصفهاني ـ طبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر .

صفوة البيان لمعاني القرآن ـ حسنين مخلوف ـ ط . مصر .

التفسير الموضوعي ـ امالي الشيخ محمد السماحي ـ للدراسات العليا بكلية أصول الدين بالأزهر .

اعجاز القرآن ـ أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني ـ دار المعارف ـ مصر .

البرهان في علوم القرآن ـ محمد بن عبد الله الزركشي ـ عيسى البابي الحلبي بمصر .

الاتقان في علوم القرآن ـ جلال الدين السيوطي ـ الطبعة الثالثة مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر .

مناهل العرفان ـ محمد عبد العظيم الزرقاني ـ الطبعة الثالثة ـ عيسى البابي الحلبي ـ مصر .

(ب) الحديث النبوي وعلومه :

صحيح الامام البخاري ـ ط . عيسى البابي الحلبي ـ مصر .

صحيح الامام مسلم ـ ط . عيسى البابي الحلبي . مصر سنة ١٩٥٥ .

جامع الترمذي ـ مطبعة الصاوي ـ مصر .

المستدرك ـ للحاكم النيسابوري ـ ط . الهند .

مسند الامام احمد ـ المطبعة الميمنية ـ مصر .

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ـ علي بن أبي بكر الهيثمي ـ ط . مصر .

جامع الأصول من أحاديث الرسول ـ أبو السعادات مبارك بن محمد بن الأثير الجزري ـ مطبعة السنة المحمدية ـ مصر .

جامع العلوم والحكم ـ عبدالرحمن بن رجب الحنبلي ـ ط . ثانية مصطفى البابي الحلبي بمصر .

الجامع الصغير ـ جلال الدين السيوطي ـ المكتبة التجارية الكبرى ـ مصر .

الفتح الكبير في ضم الزيادة الى الجامع الصغير ـ للجلال السيوطي ـ ترتيب يوسف النبهاني ـ دار الكتب العربية الكبرى بمصر .

الأربعين النووية وشرحها ـ للنووى ـ « ضمن مجموعة الحديث » ط . الرياض .
التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول ـ منصور على ناصيف ـ عيسى البابي الحلبي ـ مصر .
عمدة القاري شرح صحيح البخاري ـ بدر الدين محمود العيني ـ ط . المنيرية .
فتح الباري شرح صحيح البخاري احمد بن حجر العسقلاني ـ المطبعة الخيرية للخشاب ـ مصر .
المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ـ النووي ـ المطبعة الازهرية .
فيض القدير شرح الجامع الصغير ـ محمد عبد الرؤوف المناوي ـ المكتبة التجارية الكبرى ـ مصر .
النهاية في غريب الأثر ـ مبارك بن محمد الجزري بن الأثير ـ ط . عيسى البابي الحلبي ـ مصر .
الشفاء للقاضي عياض ـ ط . مصر .
شرح الشفاء ـ على القاري ـ المطبعة العثمانية ١٣١٦هـ .
الشمائل المحمدية ـ للترمذي ـ وشرحها ـ للبيجوري ـ المكتبة التجارية
منهج النقد في علوم الحديث ـ دكتور نور الدين عتر ـ ط . دمشق
السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي . دكتور مصطفى السباعي ط . دمشق .

(جـ) العقيدة وعلم الكلام :

أعلام النبوة ـ أبو الحسن علي بن محمد الماوردي ـ المطبعة البهية مصر .
المواقف في علم الكلام ـ عبدالرحمن الأيجي ـ مطبعة العلوم ـ مصر .

شرح المواقف ـ علي بن محمد الجرجاني ـ مطبعة السعادة ـ مصر .
تثبيت دلائل النبوة ـ القاضي عبد الجبار ـ دار العربية ـ بيروت .
الأربعين في اصول الدين ـ للفخر الرازي ـ ط . الهند .
لوائح الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية ـ محمد السفاريني ـ مطبعة المنار ـ مصر .
النبوات ـ تقي الدين أحمد بن تيمية ـ المطبعة المنيرية ـ مصر .
العقد المنظم في اقسام الوحي المعظم ـ علوي عباس المالكي ـ ط . مصر .
النبوة والأنبياء في ضوء القرآن ـ أبوالحسن الندوي ـ ط . القاهرة .
ايثار الحق على الخلق ـ ابن الوزير ـ مطبعة الآداب والمؤيد بالقاهرة .
مذكرات التوحيد للسنة الرابعة بكلية أصول الدين ـ محمود أبو دقيقة ـ مطبعة العلوم .
النبأ العظيم ـ محمد عبد الله دراز ـ مطبعة السعادة ـ مصر .
الوحي المحمدي ـ محمد رشيد رضا ـ طبعة خامسة ـ محمد على صبيح وأولاده ـ مصر .
موقف العقل والعلم والعالم ـ مصطفى صبري ـ ط . مصر .

(د) أصول الفقه :

فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت ـ عبد العلي الانصاري ـ الطبعة الأولى ـ الاميرية ـ مصر .
التلويح على التوضيح ـ سعد الدين مسعود التفتازاني ـ طبع محمد على صبيح وأولاده .
تسهيل الوصول الى علم الاصول ـ محمد عبد الرحمن محلاوي ـ ط . مصر .

أصول الفقه ـ محمد الخضري ـ طبعة رابعة المكتبة التجارية الكبرى بمصر.

أمالي أصول الفقه ـ لطلاب السنة الرابعة بكلية الشريعة بدمشق ـ أحمد فهمي أبو سنة.

(هـ) السيرة والتراجم :

تاريخ الرسل والملوك ـ لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ـ ط. دار المعارف ـ مصر.

الطبقات الكبرى ـ محمد بن سعد ـ ط. بيروت ١٩٦٠.

سيرة ابن هشام ـ تحقيق محي الدين عبدالحميد ـ ط. مصر.

الروض الأنف ـ عبدالرحمن السهيلي ـ المطبعة الجمالية ـ مصر.

عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ـ لابن سيد الناس ـ ط. دار المعرفة ببيروت.

شرح المواهب اللدنية ـ للزرقاني ـ المطبعة الأزهرية ـ مصر.

قصص الأنبياء ـ عبدالوهاب نجار ـ ط. القاهرة سنة ١٩٦٦.

(و) علوم اللغة العربية وآدابها :

لسان العرب ـ محمد بن منظور الأفريقي المصري ـ الطبعة الأميرية.

القاموس المحيط ـ محمد بن يعقوب الفيروزابادي ـ الطبعة الأميرية الثالثة.

تاج العروس من جواهر القاموس ـ محمد بن مرتضى الزبيدي ـ ط. مصر.

(ز) موضوعات متنوعة :

الظاهرة القرآنية ـ مالك بن نبي ـ ط. مصر.

تاريخ الحضارة الاسلامية ـ جاد محمد رمضان ـ ط . مصر .
أجنحة المكر الثلاثة ـ عبدالرحمن حبنكة الميداني ـ ط . دمشق .
الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم ـ د . مصطفى السباعي .
التبشير والاستعمار ـ د . عمر فروخ ومحمد الخالدي ـ ط . لبنان .
محمد رسول الله ـ ايتين دينيه « تعريب وتقديم دكتور عبدالحليم محمود » ط . مصر .
دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ـ موريس بوكاي ـ « معرب » ط . مصر .
شمس العرب تسطع على الغرب ـ زيغريد هونكه « معرب » ط . لبنان .
محمد رسول الهدى والرحمة ـ مقال من كتاب الأبطال ، توماس كارليل « معرب » .
حياة محمد ـ محمد حسين هيكل ـ ط . سادسة ـ ط . مصر .
محمد رسول الحرية سلسلة كتاب الهلال ـ ط . مصر .
مذاهب التفسير الاسلامي ـ اجناس جولد تسهر « معرب » ط . مصر .
العقيدة والشريعة ـ اجناس جولد تسهر « معرب » ط . مصر .

Muhammad at Mecca, W. Montgomery Watt, Oxford, 1953

ملاحظة : ذكرت في الهامش الطبعة المغايرة لما ورد في هذا الثبت لدى الرجوع اليها .

مسرد الأبحاث

الموضــوع | صفحة

الموضـوع	صفحة

الموضوع	صفحة

